الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة يحي فارس – المدية–

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

الدراسات المؤسسة في علم الإجتماع

موجهة لطلبة السنة الثالثة علم الإجتماع – السداسي الأول–

إعداد الدكتورة :إيمان عرابجي

السنة الجامعية 2023/2022

وحدة التعليم الأساسة في علم الإجتماع

مطبوعة موجهة : طلبة السنة الثالثة نظام ل م د

إسم المقياس : الدراسات المؤسسة في عام الإجتماع

أهداف المقياس : إكتساب الطالب من مؤهلات علمية حول الدراسات التي ساهمت في تطوير المناهج البحثية في علم الإجتماع ، أهم الدراسات التي نسبت لمدرسة شيغاكو

البرنامج الرسمي للمقياس

1- إسهامات مدرسة شيغاكو في علم الإجتماع

2- دراسة الإنتحار " إميل دوركايم "

3- دراسة الفلاح البولوني" وليام توماس فلوريان زنانيكي"

4- دراسة ميدلتاون " روبرت ليند و هلين ليند"

5- دراسة هاوثورن " إلتون مايو "

6- دراسة يانكي سيتي " لويد ولرنر

7- دراسة مجتمع النواصي " وليام فوت وايت"

8- دراسة الأزمة الأمريكية " جونار ميردال "

9- دراسة ثقافة الفقر " لويس أوسكار

10- دراسة إختيار الشعب "بول لازارسفيلد"

11- دراسة الجندي الأمريكي صموئيل ستوفر"

12- دراسة الملجأ " إرفينغ غوفمان "

13- دراسة الغرباء " هوارد بيكر"

الفهـــــــــــرس العام	الصفحة

المحور الأول : إسهامات مدرسة شيغاكو في علم الإجتماع

المبحث الأول : دراسة المجتمع الحضري .....02.

المطلب الأول : علم الإجتماع الحضري ، الدراسات الحضرية 02

المطلب الثاني : الإتجاه الإكولوجي.....07

المبحث الثاني : نشأة مدرسة شيغاكو.....09

المطلب الأول : مدرسة شيغاكو.....10

المطلب الثاني : الإيكولوجيا الحضرية 13

المطلب الثالث : إسهامات روبرت بارك (1864-1944).....16

المحور الثاني : مدرسة شيغاكو الأولى

المبحث الأول :إسهامات إميل دوركايم 20

لمطلب الأول:التضامن الالي و التضامن العضوي.....20

المطلب الثاني:دراسة الإنتحار عند إميل دوركايم.....23

المبحث الثاني :دراسة الفلاح البولوني "وليام توماس ، فلوريان زانييكي.....29

اولا: لمحة عن حياة وليام توماس.....29

المطلب الأول: الفلاح البولونيي و بداية البحث السوسيولوجي.....29

المطلب الثاني: دراسة الفلاح البولوني.....36

المطلب الثالث: قصة المهاجر "فلاديك "".....38

المبحث الثالث : دراسة ميدلتاون ، روبرت ليند و هلين ليند.....40

. **المطلب الأول**:. مدخل عام لدراسة ميدلتاون.....40

المطلب الثاني :نتائج دراسة ميدلتاون.....42

المبحث الرابع : دراسة هاوثورن إلتون مايو 44

المطلب الأول : تجارب هاوثورن 45

المطلب الثاني:تجربة ملاحظة السلوك الإجتماعي 49
المبحث الخامس : دراسات يانكي سيتي " لويد وارنر".....51
المطلب الأول : مدخل عام لدراسة يانكي سيتي.....52
المطلب الأول : نتائج دراسة يانكي ستيتي.....53
المبحث السادس : مجتمع النواصي وليام فوت وايت.....56
المطلب الأول : مدخل عام لدراسة مجتمع النواصي **56**
المبحث السابع :دراسة الأزمة الأمريكية جونار ميردال.....**58**
المطلب الأول : مدخل عام لدراسة الأزمة الأمريكية.....**58**
المحور الثالث : إسهامات مدرسة شيغاكو الثانية
المبحث الأول : دراسة ثقافة الفقر " لويس أوسكار ".....63
. **المطلب الأول:**. ثقافة الفقر.....64
المطلب الثاني :دراسة ثقافة الفقر " لويس أوسكار".....67
المطلب الثالث :نتائج ثقافة الفقر 69
المبحث الثاني : دراسة إختيار الشعب "بول لازارسفيلد".....**70**
المطلب الأول : مدخل عام لدراسة إختيار الشعب.....71
المطلب الثاني :دراسة إختيار الشعب 72
المبحث الثالث : دراسة الجندي الأمريكي صموئيل ستوفر.....79
المطلب الأول : مدخل عام لدراسة الجندي الأمريكي.....80
المبحث الرابع : دراسةالملجأ " إرفينغ غوفمان ".....81
المطلب الأول:. إسهامات إرفينغ غوفمان.....83
المطلب الثاني:. العالم كمسرح.....86
المبحث الخامس : دراسة الغرباء" هوارد بيكر ".....91
المطلب الأول:. نظرية الوصم الإجتماعي.....91

المطلب الثاني:. دراسة هوارد بيكر.....94
المطلب الثاني:. الغرباء دراسة في سوسيولوجيا الإنحراف.....95
خاتمة : 98
قائمة المراجع.....101

المحور الأول : إسهامات مدرسة شيغاكو في علم الإجتماع

تعد مدرسة شيغاكو هذه المدرسة السوسييولوجية من أهم المدارس التي عرفها علم الإجتماع الحديث و التي لازال صدى أعمال روادها يتردد في أذهان مختلف علماء الإجتماع ، كما أن تقنيات و مناهج البحث الإمبريقي التي أبدعوها ما تزال إلى اليوم من أهم وسائل المعرفة السوسيولوجية و لذلك فإن المدرسة التي ظهرت في بداية القرن العشرين ما زالت دائمة الحضور في علم الإجتماع و ما أن يعتقد منتقدها أنها إنتهت حتى تظهر في حلل جديدة و يظهر لها أتباع و رواد جدد فبعد مدرسة شيغاكو الأولى (مع توماس ، و بارك و بيرجيس وورث و ماكنزي (..) ستظهر إبتداءا من منتصف الخمسينات مدرسة شيغاكو الثانية (بيكر ، كرنفينل ، غوفمان ، ستراوس) أما اليوم فكل تجديد سوسيولوجي ما يزال ينطلق من جامعة شيغاكو و من قسم علم الإجتماع بالذات و كل التيارات الرائدة اليوم : الإثنوميتودولوجيا ، التفاعلية الرمزية الجديدة ، سوسيولوجيا الحياة اليومية ، الأبحاث السوسيولوجية النموذجية و لكن روادها و أتباعها كانوا و لا زالوا يفضلون إعتبارها " تيار ميتودولوجيا " و " مدرسة للأشغال و العمل " école d'activité " بحسب تعبير " هوارد بيكر أكثر ما هي تيارا نظريا أو (مدرسة فكرية) .

إن المنهجية المعتمدة من طرف رواد مدرسة شيغاكو و تلامذتهم هي التي تنطلق من الفرد (الفاعل الإجتماعي) و يلخصه " بيكر " نمط البحث الميداني الذي تبنته و طورته مدرسة شيغاكو بقوله " من أجل فهم سلوك فرد ما ، ينبغي علينا أن نعرف أولا كيف يدرك وضعيته (sa situation) و العراقيل التي يعتقد أنه سيواجهها و البدائل التي يرى أنها مفتوحة أمامه ولا يمكننا أن نفهم حقل الفرص المتاحة و الثقافات الفرعية للإنحراف و المعايير الإجتماعية و غيرها من التفسيرات الجماعية لكل سلوك إلا إذا إعتبرناها من وجهة نظر الفاعل .

إن هذا التصور للبحث يستدعي الإستعانة بتقنيات خاصة تترجم بشكل أكثر وفاء هذا التصور و هذه التقنيات هي ما سيجمعه الدارسون تحت تسمية " المنهج السوسولوجي الكيفي

المبحث الأول : دراسة المجتمع الحضري

تمهيد :

يذهب معظم الباحثين من علماء الإجتماع ذوي النزعة التاريخية أن التحضر كلن يمثل تغييرا جذريا في نمط الحياة و قد ساهمت هذه الدراسات في دراسة المدينة و مشكلات التحضر و التمدن و الإطلاع على الخصائص الثقافية المختلفة و الإهتمام بدراسة المجتمعات الحضرية يتطلب التركيز " المدينة " و ما تعرفه من الهجرة و العلاقة بين المهاجرين و أوطانهم مستمرة و مشاكل التصنيع و علاقته بالنمو الحضري و كذلك موضوع تنمية المجتمعات الحضرية بالإضافة إلى تغلغل الرأسمالية و من ثم سيطرة القيم المادية على القيم التقليدية به و التي كانت تمثل مؤشرات أساسية لتحديد المكانة و النفوذ في المدينة و لقد كانت مدينة شيغاكو في عام 1920 مدينة جديدة وواحدة من مراكز النمو الثانية في العالم ، حيث عرت مشكلاتها عن قمة النمو السريع و التنوع العرقي للسكان و النتائج السلبية للتصنيع و التي أدت إلى الإهتمام بدراسة الخلل في التنظيم الإجتماعي و الإنحراف deviancy الذي صاحب عمليات التحضر السريعة و ستتضمن مدرسة شيغاكو في البحث السوسيولوجي تقنيات (إستغلال الوثائق الشخصية ، السيرة الذاتية ، المراسلات الخاصة و مذكرات ، حكايا الحياة كما هناك من جهة أخرى تقنيات (دراسة الحالة) التي تعتمد على الملاحظة بالمشاركة ، الملاحظة المباشرة ، و المقابلة و الشهادة و هذا ما جعل كلا من بيرجيس و بارك يقولان في تصديرهما لكتابهما المشترك " مقدمة لعلم السوسيولوجيا " يبدو أن علم الإجتماع قد أصبح اليوم على الطريق ليصبح بشكل أو بأخر علم تجريبيا " .

المطلب الأول : علم الإجتماع الحضري ، الدراسات الحضرية

إن الإهتمام بدراسة المدينة يعد من إهتمامات الباحثين قديما في الحضارات الإنسانية ، لمن الإهتمامات الفعلية بدأت بظهور فرع متخصص لدراستها و الإهتمام بمشكلاتها له موضوعه و منهجه و كذا مداخله النظرية لدراسة المدينة و مظاهرها و خصائصها و ظواهرها نشأتها

من ظاهرة الهجرة و التحضر ، حيث نجد أن مصطفى الخشاب قد عرف " علم الإجتماع الحضري بأنه العلم الذي يهتم بدراسة المدينة بإعتبارها مركز التحضر و هو بذلك يدرسها في نشأتها ، تطورها ، وظائفها ، الأبنية الإدارية و الفنية القائمة في تلك المدن كما أنه يتناول التقسيمات الطبقية و المهنية و مستوياتها التكنولوجية و المشكلات التي تعاني منها حيث تتكشف في ضوء هذه المشكلات أهمية التخطيط للمدن و تتنسيقها و إعادة تنظيمها عمرانيا [1] و يكاد يجمع المفكرين بعلم الإجتماع الحضري على أن البداية الحقيقية لنشأة و تطور هذا العلم كمجال متميز للبحث و الدراسة و كان محور هذه الدراسات هو الكشف عن طبيعة العلاقات المتبادلة بين الإنسان و البيئة و هو ما يعرف بالإيكولوجيا البشرية ، حيث لا يقتصر مفهوم البيئة في هذه الدراسات على البيئة الفيزيقية فحسب بل يمتد إلى النظم الإجتماعية و الإقتصادية و المكونات الثقافية التي إبتكرها الإنسان و التي إهتمت بعدة قضايا مرتبطة بموضوع حركة السكان و علاقاتهم بينهم كالسكان و التنظيم الإجتماعي و المستوى التكنولوجي و من أهم ما جاء به هذا الإتجاه الفكري لتفسير الظواهر الحضرية " إن مؤشرات النمو الحضري مرتبطة بإختلاف معدلات الزيادة الطبيعية و عدم الإنسياق في أحجام الأسرة و مدى الإستغلال الأمثل لطاقات البيئة (...) و كلها تأثيرات مرتبطة بزيادة حجم المجتمع و إرتفاع الكثافة السكانية مما ترتب عليه ظهور مشكلات أطلق عليها هذا الإتجاه إسم " مشكلات النمو الحضري " و التي تمثلت في ظهور المناطق المتخلفة في النمط الحضري نتيجة لزيادة الهجرة نحو المدن و الصراع الثقافي نتيجة إحتكاك المهاجرين إلى المدن بثقافات مختلفة عن تلك التي تمثل بيئتهم الأصلية فهذا الإتجاه وجه كل إهتماماته إلى أهمية تكيف الفرد مع بيئته و ضرورة ربط المركز الإيكولوجي بظاهرة النمو الحضري [2] و يعتبر لويس ويرث louis wirth أول من صاغ تعريفا للحضرية في مقاله الشهير " الحضرية كأسلوب للحياة urbanism as a way of life" و الذي ناقش فيه عددا من المحاور و الموضوعات و الخصائص التي المدينة عن القرية حيث أشار إلى أن الحضرية تشجع على المنافسة compétition ، الإستقلالية Independence ، اللاشخصية impersonality

[1] - مصطفى الخشاب ، **علم الإجتماع الحضري** ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1976 ، ص176

[2] - محمود الكردي ، **النمو الحضري ، دراسة لظاهرة التحضر ، الإستقطاب الحضري** ، دار المعارف - مصر ، 1977 ،ص54

مما يؤدي إلى إستغلال الناس لبعضهم البعض ، كما أن الحضرية تؤدي أيضا إلى ضعف التماسك الإجتماعي solidaritysocial و أن هذه التأثيرات لا تتوقف فقط عند المستوى الحضري أي مستوى المدينة و لكنها تحدث تأثيرات على السكان الريفيين كذلك و أضاف في تحليله للحضرية أن المدن أصبحت مراكز للفنون و التعليم و الحكومة و حدد مجموعة من الخصائص التي تميز المدينة عن القرية منها ضخامة الحجم ، الكثافة السكانية و عدم التجانس ، كما قدم لويس ويرث تعريفا سوسيولوجيا للمدينة على أنها " موطن للإقامة كبير نسبيا و دائم للأفراد متبايين إجتماعيا socially heterogeneous و يؤكد كذلك أن التعريف السوسيولوجي للمدينة ينبغي أن يسعى لإختيار و إنتقاء عناصر الحضرية التي تميزها كأسلوب لحياة الجماعة الإنسانية [1] ومنه فإن الظروف الجديدة التي صاحبت الطفرات السريعة للتصنيع نجم عنها العديد من المشكلات الحضرية و ظهر الإتجاه الإيكولوجي و الذي يهتم بدراسة العلاقات بين الكائنات الحية و بيئاتها و بين الجماعة و بيئتها و التي ظهرت على يد علماء جامعة شيغاكو الأمريكية من خلال ما قدمه روبرت بارك عام 1915 تحليلا للمدينة واصفا إياها بالظاهرة الطبيعية تنشأ بتأثير عوامل طبيعية متعددة لا يمكن السيطرة عليها و أن كل مدينة تنقسم إلى مناطق صناعية و تجارية و سكنية تتميز كل منها بخصائص إجتماعية و ثقافية تميزها عن غيرها و هذه الخصائص تطبع سكان كل منطقة و تجعلهم متميزين عن غيرهم من المناطق إلى جانب أن هذه الخصائص إذا ما إجتمعت في جماعة ما فإنها تنحصر ضمن منطقة ما .

1 –**المجتمع المحلي** : يستخدم هذا المفهوم لدى الكثيرين من علماء الإجتماع و المهتمين بالدراسات الريفية و الحضرية للإشارة إلى معاني كثيرة و من ثم قدم هؤلاء العلماء تعريفات مختلفة لمفهوم المجتمع المحليcommunity نذكر منها على سبيل المثال التالية فيستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى الموطن العام common habitat أو للحياة العامة لجميع الأشخاص في نفس المنطقة بينما يستخدم البعض الأخر للإشارة إلى عدد الناس يشتركون في مصالح و إهتمامات خاصة و سلوك و عواطف مشتركة تجعلهم ينتمون لجماعة

[1] - سعيد ناصف ،محمود عودة ، **علم الإجتماع (القضايا ، المفاهيم ، المشكلات)** ، ط1 ،،دار الكتب ، القاهرة ،2006 ، ص123

إجتماعية في حين يرى أخرون أن المجتمع المحلي هو جماعة إقليمية صغى يمكن أن تكون في الغالب الأعم مجتمعا كاملا أو أنه عبارة عن جمع من الناس يشغل منطقة جغرافية و يشتكون في النشاط الإقتصادي و السياسي و يشكلون بصفة أساسية وحدة إجتماعية تحكم ذاتيا ببعض القيم العامة و خبرة و الشعور بالإنتماء لبعضهم ، كما يؤكد تعريف أخر للمجتمع المحلي على أنه " مجموعة من السكان الذين يعيشون في منطقة معينة و يرتبطون بنوع من الروابط و المصالح و تنظمهم مجموعة من القواعد و القوانين و الأعراف التي تحدد العلاقات فيما بينهم كما تكون مجموعة من المحليات الصغيرة داخل المجتمعات المحلية الكبيرة و الذين يقطنون مناطق جغرافية محددة و تهدف المجتمعات المحلية إلى إشباع الحاجات الضرورية للأفراد و الجماعات التي يعيشون فيها "[1] و التي ظهرت على يد علماء جامعة شيغاكو الأمريكية من خلال ما قدمه "روبرت بارك عام" 1915 تحليلا للمدينة واصفا إياها بالظاهرة الطبيعية تنشأ بتأثير عوامل طبيعية متعددة لا يمكن السيطرة عليها و أن كل مدينة تنقسم إلى مناطق صناعية و تجارية و سكنية تتميز كل منها بخصائص إجتماعية و ثقافية تميزها عن غيرها و هذه الخصائص تطبع سكان كل منطقة و تجعلهم متميزين عن غيرهم من المناطق إلى جانب أن هذه الخصائص إذا ما إجتمعت في جماعة ما فإنها تنحصر ضمن منطقة ما ، ينبغي أن تتوافر في المجتمع المحلي سواءا كان مجتمعا محليا ، حضريا ، أو ريفيا أو بدويا تلك الشروط و المكونات التي تتمثل في المكون البشري ، المكون البيئي ، المكون الإجتماعي ،المكون الثقافي ، المكون المادي فضلا عن المكون التاريخي .

يجب أن يضع عالم الإجتماع – أثناء دراسته للمجتمع المحلي – في إعتباره الدور يلعبه المجتمع المحلي في حياة أعضائه فلابد من دراسة أجهزة التنشئة الإجتماعية مثل الأسرة ، المدارس ، المؤسسات الدينية ، النوادي ، الجماعات التطوعية و هو يدرس عمليات الإنتاج و التوزيع و الإستهلاك و هناك جانب أخر من حياة المجتمع المحلي يمكن أن يكون مجال إهتمام بالنسبة للباحث في علم الإجتماع لا و هو المشاركة الإجتماعية بمعنى كيف يتفاعل

[1]- سعيد ناصف ،محمود عودة ، **علم الإجتماع (القضايا ، المفاهيم ، المشكلات)** ، مرجع سابق ، ص198

الأفراد داخل المجتمع المحلي من أجل إشباع حاجاتهم في التواصل الإجتماعي و ما هي شبكة الروابط الإجتماعية القائمة ، كما هناك دراسات في المجتمع المحلي في ذهن الأفراد العاديين أيضا عادة من أجل أغراض عملية فالأفراد الذين يرغبون في شراء منزل أو تغيير عملهم يقومون بدراسة مكثفة من أجل معرفة نوعية الأفراد الذين يرغبون في شراء منزل أو تغيير عملهم يقومون بدراسة مكثفة من أجل معرفة نوعية الأفراد الذين سيكونون جيرانهم،مستوى المدارس ، نوعية المواصلات و درجة سهولها و النظرة العامة إلى البلدة التي سوف يستقرون فيها و يكشف الأفراد عن معرفتهم بمعايير المجتمع المحلي عندما يرددون بعبارات مثل : إن هذه المدينة معقدة جدا ، أنا لا أعرف قانونا كهذا القانون .

و يحاول الباحث في علم الإجتماع الذي يهتم بدراسة النسق الإجتماعي في المجتمع المحلي أن يكشف عن كيفية تحقيق البناء الإجتماعي لتكامله فيحاول أن يحدد وحدات هذا البناء ثم يوضح كيف تساهم كل منها في بقاء الأخرى و قد يجد الباحث أثناء إجرائه لبحثه أن بعض الأفراد في هذه النظم قد إنخرطوا في بعض الأنشطة التي تتعارض مع الوظائف الظاهرة التي يؤديها النظام و المجتمع المحلي ككل ، وفيحاول الباحث الذي يتخذ من فكرة النسق نقطة إنطلاق نظري في دراسته و يبحث أساليب التحكم في هذا التوتر و مصادره و يمكن أن يستخدم منهج تحليل الدور لتحقيق هذه الهمة ، كما تستخدم المقابلات المعمقة مع موظف المدينة ، روؤساء التنظيمات و بعض الأشخاص الأخرين و في ضوء الإطار المرجعي الذين يستعين به الباحث و الوقت الذي يحدده للدراسة و عدد الأفراد الذين يساعدونه في تنفيذ المشروع يمكن للباحث أن يستعين بأدوات جمع البيانات و يمكن أن ينضم إلى عضوية بعض المنظمات و الجمعيات الخيرية و النوادي لكي يستطيع أن يلاحظ عملية التفاعل بين الأفراد كما أن بإمكان الباحث إجراء مقابلات متعمقة خاصة مع قادة المجتمع المحلي الذي يدرسه ، عليه أيضا أن يولي إهتماما بإيكولوجيا المجتمع فيتعرف على مواقع المحلات ، المطاعم ، المسارح ، المنازل ، المدارس ، المساجد و بإمكانه أن يستخدم الإستبيانات أو إستمارات المقابلة ليتعرف إلى إتجاهات الأفراد تجاه النظم المحلية و القيم و المعتقدات التي يهتم بها أعضاء المجتمع المحلي .

المطلب الثاني : الإتجاه الإيكولوجي

إن أهم ما ساهم في نشأة و تطور علم الإجتماع ما شهده المجتمع الأوروبي من تغيرات على الصعيد الإقتصادي و السياسي و العلمي ، و كذا ظهور الثورة الصناعية و الثورة الفرنسية و الثورة الفكرية و الفلسفية مما دفع الباحثين للإهتمام بالحياة الحضرية و الهجرة داخل المجتمع ، فعلم الإجتماع الحضري هو " العلم الذي يهتم بتأثير حياة المدينة في أنماط السلوك و العلاقات و النظم ، كما يدرس أنماط المدن و نشأتها و مشكلاتها و يدرس الظواهر الحضرية و يهتم في المحل الأول بدراسة المدينة[1]و بعد التغيرات الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية التي عرفها المجتمع الأوروبي و المجتمع الأمريكي أصبح الإهتمام بالدراسة السوسيولوجية للمدينة و الحياة الحضرية و الهجرة و الإهتمام بشؤون المجتمع البشري بوجه عام و منه فإنه سيظهر إتجاهين هامين في تفسير ظاهرة الهجرة و التمدن حسب سعيد ناصف و هما :[2]

الإتجاه التنظيمي : الذي ينطلق من دراسة الأنماط السلوكية الصادرة عن السكان الحضريين و يسعى هذا الإتجاه إلى تحقيق هدف أساسي هو دراسة العمليات التي من خلالها تنمو المدن أو تتكمش .

الإتجاه الإيكولوجي : و الذي يسلم بان جوهر المدينة يتمثل في تمركز عدد كبير من السكان في منطقة محددة ، و يهتم هذا الإتجاه بدراسة تأثير حجم المدينة و كثافتها على التنظيم الإجتماعي و تتمثل القضية الأساسية التي ينطلق منها هذا الإتجاه في أن عدد سكان المنطقة يلعب دورا أساسيا في تحديد طابع التنظيم الإجتماعي السائدة فيها ، و من بين أساليب العناصر الأساسية التي يستند إليها التنظيم الإجتماعي هي أساليب توزيع القوة و تنفيذ القرارات و أساليب الإتصال (.....) .

و قد سميت بالنظرية الإيكولوجية في علم الإجتماع أو نظرية المدرسة الأمريكية أو نظرية مدرسة شيغاكو و قد ساهم في إنتشار هذه المدرسة مجموعة من رواد علم الإجتماع و على

[1]- فراس عباس البياني ،**علم الإجتماع ،دراسة تحليلية للنشأة و التطور** ،دار غيداء للنشر ، عمان ، 2011،ص25

[2] -سعيد ناصف ، **علم الإجتماع الحضري ، المفاهيم و القضايا و المشكلات** ، دار الكتب و الوثائق القومية ، ط1 مصر ،2006 ص15

رأسهم كل من روبرت بارك ، وليام توماس ، وارنست بيرجس و أعمال "هومر هويت" و غيرهم و يمكن القول أن " الإيكولوجيا على أنها علاقة الكائن الحي ببيئته و يدرك الإيكولوجيين المدينة و المجتمع الحضري بصفة عامة على أنها تنظيمات إجتماعية تحتل مواقع جغرافية ، و يفترضون إلى أن أفضل فهم للحياة الحضرية يكون عن طريق كونها فسيفساء من المناطق حيث تؤدي العوامل الطبيعية إلى توزيع منظم و أيضا متغير بإستمرار للسكان و التسهيلات و الأنشطة .[1]

إن الإيكولوجيا بإعتبارها تسعى أيضا إلى وصف التوزيع الفعلي للنباتات و الحيوانات على ساحة البسيطة و من جهة نظر خاصة علم جغرافي ، و لكن الإيكولوجيا الإنسانية بالمعنى الذي يحرص علماء الإجتماع على إعطائه لها لا تختلط مع الجغرافيا و لا حتى مع الجغرافيا البشرية حسب ما قاله روبرت بارك : إن ما يهمنا نحن هو المجموعة أكثر من الإنسان (الفرد) و العلاقات بين الناس أكثر من علاقاتهم مع الأرض التي يعيشون عليها[2] و في مقاله له بعنوان " الإيكولوجيا الإنسانية " يوضح "بارك" مرجعيته التي تعتمد على أعمال الطبيعين و بالخصوص داروين يقول : إن المبدأ النشيط في تنظيم و تقنين الحياة في مجال الطبيعة الحية ، كما وضعه داروين أي مبدأ الصراع من أجل الحياة و من خلال هذا المبدأ يتم تحديد عدد العضويات الحية و بذلك يتم الحفاظ على التوازن الطبيعي، إن هذا التصور يعني أن إنتقال الجماعات الإنسانية من مكان لأخر و صراعها مع بعضها يشبه إلى حد ما لما يجري على مستوى المجموعات الحيوانية ، النباتية التي تتصارع و تتنافس من أجل العيش و البقاء ، و عليه فإن إشكالية علماء إجتماع شيغاكو تتمحور حول (الإيكولوجيا الإنسانية و على التفاعلات بين الناس) و الوسط الطبيعي و كذا التفاعلات بين الجماعات في وسط جغرافي معين ، إن المفهوم الأساسي عندهم هو المجموعة الإيكولوجية و تبنى هذا التصور يعني من وجهة بارك " أن كل مجتمع إنساني يسعى لتنظيم نفسه على المستوى المادي و الروحي بطريقة طبيعية ، أي دون اللجوء لمساعدة الناس على الأقل في مرحلة أولى و لذلك فإن المنطق الإفتراضي لهذا العلم الأساسي ، لهذا العلم الجديد

[1] - وجدي شفيق عبد االطيف ، **علم الإجتماع الحضري و الصناعي**، دار المصطفى للنشر و التوزيع ، مصر ، 2005 ، ص70

[2]- R.E.Park , la communauté Urbaine, **model spatial et ordre moral in l'école de chicago** , op cit ,paris ,p193

(الإيكولوجيا الإنسانية) يقتضي بأن المدينة كائن عضوي طبيعي (...) بالعضوية الحية كما تعرفها البيولوجيا و تدققها الإيكولوجيا "[1]

لقد نشأت السوسيولوجيا كعلم مستقل في القرن 19 م مع الرواد الأوائل في أوروبا مثل إميل دوركايم ، ماكس فيبر ، كارل ماكس ، و لكن هذا العلم الذي إستمد إسمه من طرف أوكست كونت من بدايته حيث أسماه بالفيزياء الإجتماعية لذلك سيعرف نشاة جديدة على الضفة الأخرى من المحيط الأطلسي ، سترسخ السوسيولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية مع مطلع القرن العشرين كعلم مستقل له أساتذته و تمويله الخاص و هناك ظروف عامة ساهمت في بناء إتجاه خاص في علم الإجتماع و هي سوسيولوجيا التحضر و الهجرة في جامعة شيكاغو التي أطلقت عليها تسمية " المدرسة " أسوة بمدرسة فراكفورت الألمانية .

المبحث الثاني : نشأة مدرسة شيغاكو

تمهيد :

إن مدرسة شيغاكو تعد من أهم المدارس التي طورت المفاهيم الخاصة بعلم الإجتماع حيث إشتق مصطلح الإيكولوجيا من العلوم الطبيعية و تشير إلى دراسة تكيف النباتات و الحيوانات العضوية مع البيئة و كذا علاقة الكائن ببيئته ، و يدرس الإيكولوجيين المدينة و المجتمع الحضري بصفة عامة و يفترضون إلى أن فهم الحياة الحضرية يكون عن طريق كونها فسيفساء من المناطق حيث تؤدي العوامل الطبيعية إلى توزيع منتظم و أيضا متغير بإستمرار للسكان و الأنشطة و تعد نظرية روبرت بارك إنطلاق لمدرسة شيغاكو ، لقد صاغ روبرت بارك ما يعرف بالنظرية الإيكولوجية و إستند في تحليله إلى أطروحتين ترتبط الأولى بالتأثير الذي تمارسه ظروف العيش في مجتمع المدينة على سلوك ساكنيها ، أما الثانية فترتبط بنمو المدينة و إمتدادها و تباينها إجتماعيا و فيزيقيا و هذا ما دفعه للقول أن المدينة تنظيما أخلاقيا و ليس فيزيقيا و بعدها طور مدخله ليتمحور حول المجتمع الحضري المحلي ببعديه الثقافي و الحيوي فالبحث الإجتماعي حتى عهد قريب غنتظم في الولايات المتحدة الأمريكية على نطاق أوسع مقارنة بأي مكان أخر فعرف الكثير من الدراسات الإبداعية .

[1]-R.E.Park , la communauté Urbaine,ip , p123

المطلب الأول: مدرسة شيغاكو

توجد مصادر عديدة وراء التطور المذهل للبحث الإجتماعي التطبيقي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى و في كل دولة من دول العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، و من العوامل التي أدت إلى ظهور هذه المدرسة المتميزة في تاريخ السوسيولوجيا هو تلك التحولات الكبرى التي عرفتها مدينة شيغاكو في أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ، و التي كان من نتائجها ظهور العديد من الظواهر الإجتماعية (الفقر ، الهجرة ، الإنحراف ، الدعارة ، الصراعات الإثنية ..) و عليه فإن مدرسة شيغاكو هي جملة البحوث السوسيولوجية التي تم إجرائها خلال الحقبة الممتدة بين 1915 و 1960 من طرف باحثين ينتمون قسم علم الإجتماع بجامعة شيغاكو و إستطاعت أن تفرض هيمنتها على الساحة الأكاديمية في علم الإجتماع و المقصود بها إذن ليس تيارا فكريا متجانس يتبنى مقاربة نظرية مشتركة ، و إنما تبار جديد وجه علم الإجتماع نحو البحوث الأمبريقية و إرتبط إسم مدرسة شيغاكو بدراسة المدينة تحديدا فهي تعتبر البداية العلمية المتخصصة للسوسيولوجيا الحضرية و من بين العوامل الكامنة وراء نشأة مدرسة شغاكو " النمو الحضري الضخم للمدينة هاته المدينة التي تقع غرب الولايات المتحدة الأمريكية حيث عرفت نمو رهيب خلال فترة زمنية لا تتجاوز الخمسين سنة، هذا النمو تم تحت وطأة الإنتقال الكثيف للمهاجرين الريفيون من وسط الغرب الأمريكي إلى المدينة ، زد عليه العدد الكبير من المهاجرين الأجانب و أصبحت المدينة في فترة بداية من 1840 في خمسين سنة مركزا صناعيا و تجاريا هاما ، و تطورت الرأسمالية و شهدت مدينة شيغاكو سلسلة من الثورات و الحركات الإحتجاجية العمالية و هي أيضا مدينة حديثة النشأة حيث تم إعادة بنائها بالأسمنت و الفولاذ بعد الحرق الضخم الذي عرفته و دمرها كليا سنة 1871 حيث تعد المهد الأول لما يسمى "بمدرسة شيغاكو " و تعني كلمة مدرسة في الغالب تجمعا داخل نفس المعهد الجامعي لعلماء إجتماع يتبنون و يمارسون على إمتداد فترة تاريخية كافية أسلوبا مشتركا من السوسيولوجيا أو الذين ينطلقون من إلتزام فلسفي مشترك ، حيث ينتهي بلومر إلى أن السبب الجوهري الذي دفع الباحثين إلى الإعتراف بالوجود المستقل لهذه المدرسة هو

إنطلاق كل أفرادها من مبدأ (الإلتزام بالبحث الأمبريقي) و هذا الإلتزام المشترك بين مختلف المنتمين لهذه المدرسة أو المحسوبين عليها ، هو بالفعل ما يشكل وحدتها و يرى "هوارد بيكر" و هو من أبرز من يشكل الإمتداد المنهجي لهذه المدرسة من علماء الإجتماع المعاصرين و خصوصا من خلال مؤلفه الشهير " المهمشون " outsiders " أن النجاح الذي عرفته هذه المدرسة يرجع أكثر إلى نشر أبحاث و نتائج أكثر مما يرجع إلى بناءات نظرية (...) و أخيرا فإن مدرسة شيغاكو لم تكن أبدا مدرسة فكرية موحدة و إنما بالأحرى مجالا لتقاسم الأفكار بين الباحثين من مختلف الأجيال و أن ما يميزها عن المحاولات السوسيولوجية التي سبقتها هو شيئين أساسين هما : البحث الأمبريقي من جهة و التخصص الحضري من جهة أخرى و بهذا الصدد يقول ألان كولون : إن سوسيولوجيا شيغاكو تتميز قبل كل شيء بالبحث الأمبريقي و لقد شكلت منعطفا بالنسبة للتأثير الذي سيكون لاحقا للبحث السوسيولوجي على المجتمع و بالفعل فقبل ظهور و سيادة هذه الأعمال الأمبريقية كانت الأبحاث السوسيولوجية موجهة صوب التحقيقات الإجتماعية و التي كانت موسومة بالأخلاقية و كانت أكثر قربا من التحقيقات الصحفية أكثر منها إلى البحث العلمي (....) و على العكس من ذلك فإن الإتجاه الأمبريقي سيكون مطبوعا بإلحاح الباحثين على إنتاج معارف تنفع في علاج المشاكل الإجتماعية"[1] ، بالإضافة أن مدرسة شيغاكو ستساهم في إخراج أفضل نص إجتماعي لعدة سنوات و مقدمة في علم الإجتماع إهتمامه منصبا على المجتمع و كان ذلك عام 1921 كما أنصب على يد تلك المجموعة أوسع و أكثر البرامج البحثية في مجال علم الإجتماع و كانت شيغاكو تفضل تداول البحوث الكيفية و الكمية و لم يكن الإهتمام ينصب فقط على الجوانب العملية و إنما كان يتجه أيضا إلى وضع نظريات أكثر رسمية كذلك كان هناك إهتمام قوي بنماذج التنظيم الإجتماعي الذي لم يمنع في نفس الوقت من تطوير أول نظرية عن علم النفس الإجتماعي الخالص مثل نظرية ميد عن البحث الأمبريقي في مجالات مختلفة كالأجناس ، المناطق المعلقة ، الإنتحار و عليه هناك إتفاقا عاما حول أهمية البيئة كمكون أساسي للمجتمع الحضري أو المدينة و التي تمثل المجال

[1] - عبد الرحمان المالكي ،**مدرسة شيغاكو ، نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة** ، إفريقيا الشرق للنشر ، دار البيضاء، المغرب،2016 نص63

الأساسي للدراسة في علم الإجتماع الحضري الأمر الذي يؤكد على الإهتمام بالبيئة الحضرية من حيث مصادرها و مقوماتها المختلفة و توزيع السكان الحضريين على خريطة المدينة و أحيائها السكانية و كذلك الإهتمام بدراسة المحددات الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية التي تلعب دورا أساسيا في عملية التوزيع هذه من جانب و تلك المحددات التي تؤثر في حركة السكان و إنتقالهم من مكان لأخر (الحراك الإجتماعي و الجغرافي) داخل المجتمع الحضري و لقد إتجهت دراسة المدينة خلال القرن العشرين نحو المزيد من التخصص و يرجع ذلك إلى التطور الذي مرت به العلوم الإجتماعية و خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية بتصميم أدوات عديدة من أجل فهم الظواهر الحضرية و من ثم يمكن القول أن " الدافع إلى تطوير المدخل النظري و الإمبريقي الموحد في الدراسات الحضرية كان نتاج لتطور علم الإجتماع الحضري في أمريكا و بخاصة في جامعة شيغاكو حيث إنتقل تطوير النظرية الحضرية من أروبا إلى جامعة شيغاكو خلال الثلث الأول من القرن العشرين و إستطاع قسم علم الإجتماع بجامعة شيغاكو برئاسة "روبرت بارك " أن يقدم سلسلة من الدراسات النظرية و ألمبريقية عن الحياة الحضرية إرتكزت أساسا على البحث في مدينة شيغاكو و لقد تابع بارك في مقاله الذي نشر عام 1916 النظريات الكلاسيكية عندما قرران الحضرية تنتج طرقا جديدة للحياة و نماذج جديدة من الأفراد و أنه على علماء الإجتماع أن يكتشفوا هذه الأشكال الجديدة من مدنهم بنفس الطريقة التي درس بها علماء الأنتروبولوجيا القبائل البدائية "[1] إلا أن خلال الثلاثينات من القرن الماضي بدأت هيمنة هذا القسم تتقلص مع ظهور الوظيفية بزعامة تالكوت بارسونز و خلال الأربعينات كان هناك جيل جديد ينغرس وسط هؤلاء مثال غوفمان ، ستراوس ، جولد و هؤلاء المجموعة من الدارسين أسهموا بدرجة كبيرة في إحياء الإهتمام بالتفاعلية الرمزية و البحوث الكمية و قد زادت الموارد المالية المتاحة لإجراء البحوث الإجتماعية زيادة ضخمة عاما بعد أخر خلال الخمسينيات و الستينيات و قد أطلق عليهم إسم مدرسة شيغاكو الجديدة و أنشئت مؤسسات بحثية جديدة عديدة و تضاعف عدد علماء الإجتماع و البحوث الإجتماعي.

[1] - غريب محمد سيد أحمد ، السيد عبد العاطي السيد ، **علم الإجتماع الريفي و الحضري** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،2004

المطلب الثاني : الإيكولوجيا الحضرية

لقد ظهر مصطلح الإيكولوجيا Ecology لأول مرة عام 1869 حينما إستخدمه عالم الأحياء " إيرنست هايكل " حيث عرف الإيكولوجيا البيولوجية بأنها : العلم الذي يدرس التساند المتبادل بين النباتات و الحيوانات التي تعيش معا في منطقة طبيعية و ثمة مفاهيم أساسية يعتمد عليها هذا العلم من أهمها : الموطن ، التدرج ، التكافل ، المنافسة و الغزو و التتابع ، وعرف الباحثون في مدرسة شيغاكو بعلماء **الإيكولوجيا الحضرية** نظرا لإن لرؤيتهم المختلفة عن باقي الباحثين حيث يرون أن العلاقات بين مختلف السكان في المدينة تتشابه مع العلاقات بين أنواع الأشجار و النباتات في أرض جرداء و بالإستعارة الخاصة بمصطلحات علم النباتات يتحدث هؤلاء العلماء عن التتابع عندما يحل سكان محل أخرين في سكنى حي معين ، و التكافل عندما يسكن سكان غير مترابطين في نفس المنطقة أو السيطرة عندما تتأثر المناطق المتطرفة بالأوضاع في قلب المدينة ، إذ يذهبون إلى أن العلاقات الجماعية يمكن أن تأخذ صور **التنافس و الصراع ، و التلاؤم ، و التمثيل** ، و في التنافس تناضل الجماعات من أجل أهداف متماثلة ، في الصراع تسعى الجماعات إلى تحقيق أهدافها من بالتخلص من بعضها البعض ، كمعوقات أمام تحقيق هذه الأهداف و في التلاؤم تصل الجماعات ذات الأهداف المتعارضة إلى توافق مستقر و متبادل و يستخدم علماء الإيكولوجيا هذه العمليات لتفسير أنماط النمو الحضري فعلى سبيل المثال يتم تنظيم التنافس على المواقع المتميزة في قلب المدينة من خلال سعر الأرض ، كما أن الصراع بين جماعات المهاجرين القدامى و الجدد يفسر سرعة التنقل السكاني مثلما تغزو الجماعات الجديدة المنطقة التي يسكنها المهاجرون القدامى .

و تعد المناهج في دراسات مدرسة شيغاكو مناهج عرضية (أي تمليها طبيعة الموضوع المبحوث و ملابساته ، ففي كل دراسة يقوم الباحث في البداية بجمع معلومات دقيقة عن موضوعه و إستخدام الملاحظة بالمشاركة و بعد ذلك يضيف إلى هذه المعلومات بيانات إضافية كلما أمكنه ذلك من السجلات الرسمية ، و بيانات التعداد ، الوثائق ، و تواريخ الحياة و المقابلات و الإستبيانات ، المقالات الصحفية ، و تقارير الأخباريين المدربين و قد

أوضحت بعض الدراسات المتعلقة بالسلوك الإنحرافي في (الجريمة ، الجنج و الإنتحار و الدعارة و الإظطرابات العقلية) إن الدراسات التي إعتمدت على المقاييس الإحصائية أن تلك الأمراض حتى التي تبدو فردية و متفرقة كمرضى الفصام يتركزون بدرجة كبيرة في مناطق إيكولوجية محددة و يصف " جون مادج" أعمال مدرسة شيغاكو بأنها :" تهتم بإصرار و بشكل محدد بالموقع الإقليمي و تؤمن بإصلاح الإنسانية و تبغض بغضا أمركيا متأصلا الإنحراف و النزعة الراديكالية التي تتعايش تعايشا غريبا مع إيمان هذه المدرسة بثراء النظم الإجتماعية و تنوعها [1] .

و أعمال مدرسة شيغاكو تهتم بإصرار و بشكل محدد بالموقع الإقليمي و تؤمن بإصلاح الإنسانية ، و يعد روبرت بارك وراء مجموعة ضخمة من هذه الدراسات و كان مفتونا بالحياة الحضرية في تنوعها و تعقدهاو أمراضها و كان صحفيا و مراسلا و خبيرا في العلاقات الإثنية (بين السلالات) و في عام 1915 نشر بارك مقالا شهيرا أوضح فيه أن المدينة ظاهرة طبيعية و أنها تنقسم إلى مناطق صناعية و تجارية و سكنية كما أن السكان الذين يتماثلون في خصائصهم الإجتماعية و الثقافية يميلون إلى التجمع في مناطق معينة من المدينة و من ثم أصبحت كتابات بارك بعد ذلك تعد من الدعائم الأساسية التي إستندت إليها الدراسات الإيكولوجية فقد قام "ماكينزي" بالإشتراك مع "بارك و بيرجيس " فيما بين 1921 و 1923 بإجراء دراسة عن مناطق المدينة و بذلك يعتبر "ماكينزي" من أوائل علماء الإجتماع الذين إستعانوا بمفاهيم الإيكولوجيا البشرية human ecology في البحث الأمبريقي و في عام 1961 كتب مقالا مشهورا للمجلة الأمريكية لعلم الإجتماع بعنوان : المدينة مقترحات لبحث السلوك الإنساني في البيئة الحضرية و إهتموا فيه بدراسات حول الحياة و الثقافة الحضرية بإستخدام عدة مناهج : الملاحظة المباشرة ، التحليل الإحصائي ، دراسة حالة ، و هناك بعض الدراسات التي اشرف عليها بعنوان : الباعة المتجولون 1923 ، التفكك الأسري 1927العصابة 1927 ، ملاهي الرقص المأجور 1932 ، السلوك الإنحرافي في شيغاكو 1933 ،الإضطرابات العقلية في المناطق الحضرية 1933 ، الأسرة الزنجية في

[1]- John Madge , **The origins of Scientific Sociology** , New York free press , 1962 ,p125

شيغاكو1932 ، تعد مدرسة شيغاكو سوسيولوجيا حضرية أنجزت سلسلة من الدراسات حول المشاكل التي كانت تعاني منها مدينة شيغاكو و لكنها كرست بالأساس جزء من أعمالها لمشكلة سياسية و إجتماعية كبرى كانت كل المدن الأمريكية الكبرى معنية بها انذاك و تتجاوز إطار سوسيولوجيا المدينة وحدها : إنها مشكلة التحضر الهجرة الوافدة و إنصهار ملايين المهاجرين الوافدين على المجتمع الأمريكي و من بين أهم إسهامات سوسيولوجيا مدرسة شيغاكو أنهم ساهموا في تطوير مناهج بحث أصيلة ، الإستعمال العلمي للوثائق الشخصية ، العمل المباشر الميداني ، إستغلال مصادر وثائقية مختلفة موجهة .

إن المدينة من هذا المنظور الإيكولوجي تبدو كمجال قابل للدراسة الوصفية و لهذا إنتهى إرنست بيرجيس Burgess الرائد الثاني لمدرسة شيغاكو إلى إعتبار البحث الحضري أهم ما يميز النظرية السوسيولوجية الحديثة ، و لهذا كان يؤكد : إن قناعاتي الصارمة بعد ربع قرن من البحث الحضري هي أن النسق المفاهيمي المستعمل في الدراسات الحضرية يجب أن يغطي حقل النظرية السوسيولوجية بأكمله .

إن إعتبار المجال الحضري مختبرا إجتماعيا و المجال الأنسب لدراسة الظواهر و المؤسسات الإجتماعية يأتي لأسباب وجيهة يلخصها "بارك " بقوله : من بين الدواعي التي تجعل من المدينة مجالا مناسبا جدا لدراسة مؤسسات الحياة الإجتماعية على العموم هو أن هذه المؤسسات تنمو و تتطور بسرعة في شروط الحياة الحضرية ، إنها تتطور تحت أنظارنا إن سيرورة نموها قابلة للملاحظة و للتجريب في نهاية الأمر ، إن نظرة " بارك " للمدينة و تمجيده للحياة الحضرية و إعتبارها تمثل مرحلة أسمى في تاريخ الإنسانية لم يمنعه على سائر علماء الإجتماع الحضري في الماضي و الحاضر من تبني نظرة مزدوجة للمدينة ، فهي في نفس الوقت مجال التقدم و الرخاء و الحرية و نمط العيش الأفضل ، لكنها كما أشرنا لذلك من قبل هي مجال المعدلات الأعلى في الجريمة و الإنحراف و سوء التنظيم الإجتماعي فهي تتميز بإرتفاع معدلات الجريمة ضد الأشخاص و الممتلكات و بالسلوكيات الأخرى التي تعد في نظر المجتمع الأكبر سلوكيات لا شرعية و لا أخلاقية و تعد دراسات شيغاكو أول الدراسات التي كشفت ان هذه السلوكات تنمو وفق نمو المجتمعات المحلية.

المطلب الثالث : إسهامات روبرت بارك (1864-1944)

يعد روبرت بارك من مؤسسي مدرسة شيغاكو في علم الإجتماع من خلال إسهاماته في الإيكولوجية البشرية و كان وراء العديد من الدراسات و أشرف عليها في جامعة شيغاكو في سن الخمسين بعد أن عمل فترة طويلة مراسلا صحفيا و خبيرا في العلاقات الإثنية (بين السلالات) و كان زيمل هو معلمه الوحيد في علم الإجتماع لذا كان مثله مفتونا بالحياة الحضرية في تنوعها و تعقدها و أمراضها ، من خلال مقاله المشهور سنة 1915 " المدينة" فوضع فيه أسسا منهجية و نظرية لعلم الإجتماع الحضري ، و بناء على ذلك تبلورت لدى بارك ، فكرتين أساسيتين ضمن الأولى : التأثير الذي تمارسه ظروف العيش في المدن على سلوك الأفراد و الثانية : الوسائل التي من خلالها يؤدي التكيف البشري للبيئة الطبيعية إلى إنقسام في بناء المدينة و تمايزها في مناطق طبيعية تتلائم من الأنماط البشرية و قد حاول بارك (و ذلك همه الأساسي) أن يفهم المدينة بوصفها مكانا ، إضافة إلى اعتبارها نظاما أخلاقيا moral orde فالمدينة بوصفها نظاما هندسيا و مكانا تظهر فيه التقسيمات الإجتماعية بناءا على طبيعة المكان ذاته و مدى ملاءمته للأفراد ليس كذلك فقط و إنما هناك تفضيلا عن هذا النظام الطبيعي أو المكاني يبرز دور التنظيم الأخلاقي الذي بلا شك يسير جنبا إلى جنب مع التنظيم الأول فإذا كان شخص ما إنبهر بضخامة المدينة و تركيبها المعقد فإن هذه الخصائص ذاتها لها جذور و أساس في الطبيعة البشرية التي قد نفهمها و نستنتجها من طبيعة المدينة التركيبي [1] إن هذه المدينة نفسها بالنسبة " بارك " و غيره من علماء إجتماع شيغاكو ليست مدينة واحدة ، متجانسة بل هي عبارة عن فسيفساء إجتماعية و ذلك ما يعبر عنه " بارك " من منظور إيكولوجي واضح بالمناطق الطبيعية أو المناطق الروحية في المدينة régions naturelles,régions morales " [2] إن هذه البنية افيكولوجية للمدينة التي تتشكل بفعل عملية الإنتقاء و التمييز من جهة و عملية التنشئة الإجتماعية و العدوى من جهة أخرى تجعل مناطق المدينة تتحول إلى مناطق متميزة على بعضها

[1] - محمد عاطف غيث ، **علم الإجتماع الحضري (مدخل نظري)** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1988 ، ص37

[2]-[2]-R.E.Park , **la communauté Urbaine**,ip , p154

البعض مجاليا و ثقافيا و لقد أكد " روبرت بارك " في تحليلاته للإيكولوجيا البشرية على أن ثمة تفعلات بين أربعة عوامل هي : السكان ، الثقافة الغير المادية (العادات و التقاليد) الثقافة التكنولوجية ،المصادر الطبيعية و لقد لعبت التفسيرات السوسيولوجية دورا هاما في رسم إطار الإتجاه الإيكولوجي البشري المتصل بقضية التحضر حيث يحدد ريشارد سون مجال الإيكولوجيا البشرية بأنه عبارة عن دراسة أنماط تحركات السكان و إستطانهم بمنطقة ما و تأثرهم بيئتهم الطبيعية و الإجتماعية و الثقافية و من ثم تعتبر المدينة وفقا لهذا المعنى من وجهة نظر علماء الإيكولوجيا البشرية بيئة طبيعية تظهر تنميتها و قوى المنافسة الإقتصادية بحيث تشجع السكان كي يجتمعوا في مجتمعات محلية و قد عرف الباحثون في مدرسة شيغاكو بعلماء الإيكولوجيا الحضرية فإيكولوجية المدينة لم يكن ليقتصر فقط على تتبع التقسيم الداخلي للمدينة أو إكتشاف طرق لمعرفة الأشياء و الظواهر الموجودة في المدينة فحسب و إنما إكتشاف أهمية و تأثير هذه الظواهر في بناء الشخصية الحضرية و أنه ثمة عمليات إيكولوجية تعمل على إتساع المدن و تناميها تلك التي تتعلق بالمنافسة و الغزو ، التتابع وفق قوانين هي أشبه ما تكون بالقوانين البيولوجية و حسب "أنطوني جيدنز " تنشأ الأحياء السكنية و يبدأ سكانها بالتكيف مع بعضهم البعض لتدبير المعيشة و من ثم تصبح المراكز البشرية نقطة إستقطاب و تجمع لمصالح الإقتصادية و المعيشية و الترفيهية التي تمتلكها و تستخدمها الشرائح المرفهة و مع إتساع أحجام المراكز يبدأ القاطنون الأوائل بالتحرك خارج المركز و الإنتشار في الضواحي المستخدمين طرق المواصلات لتيسير تنقلهم [1] و عليه فإن مقالة روبرت بارك كانت إيذانا ببدئ مرحلة جديدة لقيام فرع جديد و مستقل من فروع علم الإجتماع يوجه أساسا لدراسة المدينة و في عام 1925 أعاد بارك نشر مقالته هذه في كتيب صغير بنفس العنوان أضافه فيه أعمال زميله إيرست بيرجيس و في عام 1926 نشر بارك و بيرجس كتابا بعنوان " المجتمع المحلي الحضري The Urbain community "و سرعان ما تأكدت الأهمية البالغة في هذه الفترة بالذات خاصة و أنه حدد فيها الملامح الأساسية لدراسة المجتمع الحضري من خلال إشرافه

[1] -أنطونب جيدنز ، تر فايز الصياغ ، **علم الإجتماع** ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية،ط4، بيروت ، 2005 ، ص269

على العديد من البحوث الأمبريقية و نشرت بواسطة جامعة شيغاكو أهمها (دراسة التفكك الأسري 1927 ، دراسة ملاهي الرقص المهجور 1928 دراسة السلوك الإنحرافي في شيغاكو 1933 ، دراسة الإضطرابات العقلية في المناطق الحضرية 1933) كلها أعمال ساهمت في بلورة الإهتمام السوسيولوجي للحياة الحضرية و بلغت الذروة في أواخر العشرينات و بداية الثلاثينات من خلال إنتمائهم لجامعة شيغاكو و يرى بارك و زوملاؤه أن في المدن أشكال التكيف الغير المخطط تؤدي إلى التنازع من أجل البقاء الأمر الذي يؤدي إلى التوزيع المكاني للناس على المناطق المختلفة و قد طبق بارك مصطلح " المناطق الطبيعية على الأحياء الفقيرة natural areas stums و في عام 1961 كتب مقالا مشهورا للمجلة الأمريكية لعلم الإجتماع بعنوان المدينة : مقترحات لبحث السلوك الإنساني في البيئة الحضرية نادى فيه بدراسة الحياة و الثقافة الحضرية بإستخدام عدة مناهج : الملاحظة المباشرة ، التحليل الإحصائي ، دراسة حالة ، ووصف الأنماط المهنية ، دراسة العمليات السياسية و تحليل ما يطلق عليه الآن الثقافات الفرعية للمنحرفين، و منه فإن مفهوم الحضرية " يشمل العوامل و الفعاليات التي تتميز مجتمع المدينة كنمط للحياة مثل الحجم و الكثافة و الإنفتاح و العلاقات الثانوية و المؤسسة التطوعية و إتساع نطاق تقسيم العمل و تعقد الأدوار و تعددها و تفكك القيم الإجتماعية[1] و يمكن القول أن إنتشار الثقافة الصناعية و ما رافقها من تحولات في إطار التفاعلات و الوحدات الإجتماعية أو بالأحرى الترابط و التداخل بين حكة التصنيع و درجة التحضر أدى إلى تحول جذري في الفكر السوسيولوجي من مجال إهتماماته التقليدية بقضايا القرابة و المجتمع المحلي و حياة القرية و العمل في الريف و الصناعات التقليدية و العقائد و العادات إلى مجالات إهتمام ترتبط بالتحضر و التصنيع مثل الفرد و الأسرة في الحياة الحضرية الجديدة و المصالح و العلاقات و الصراعات التي تولدت بفعل الإنتقال من الريف إلى المدينة و التغير الذي مس المفاهيم الخاصة بالأسرة و القرابة ، لقد وجد مجال الإيكولوجيا البشرية human eology في أمريكا منذ أكثر من سبعين عاما مضت و ذلك بواسطة " روبرت بارك " حيث ظل علم الإجتماع

[1] - إسحاق يعقوب القطب ، **خصائص النمو الحضري في دول الخليج** ، شركة كاظمية للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1985 ، ص23

الحضري الأمريكي لسنوات عديدة يمثل الإسكولوجيا البشرية و يتضح ذلك من خلال نتائج البحوث الأمبريقية empirical researches و المقالات النظرية theortial essays التي قدمها علماء النظرية النسقية للمدينة systematic theory و أهم إسهامات في هذا المجال كانت منذ عام 1914 حتى الأربعينات من القرن الماضي حيث شارك بارك و زملاءه و تلامذته في جامعة شيغاكو ما يمكن أن نطلق عليه مدرسة شيغاكو shicago school لقد أصبحت كتابات " بارك " بعد ذلك من الدعائم الأساسية التي أسندت إليها الدراسات الإيكولوجيا حيث حاولت دراسات سوسيولوجية عديدة ربط الظواهر الإجتماعية و الثقافية بالمناطق الطبيعية في المدينة و من أشهر هذه الدراسات تلك التي تناولت مشكلات الجريمة ، الإنتحار ، التفكك الأسري في الأحياء الحضرية المختلفة و بخاصة الفقيرة منها ، لقد وضع بارك في كتابه المعنون " المدينة " إقتراحات لدراسة السلوك الإنساني في البيئة الحضرية من خلال تنفيذ برنامج بحثي إنشغلت به مدرسة شيغاكو على مدى العقدين التاليين هذا البرنامج أدى إلى نشر العديد من الكتب عن المدينة و التي تبنت الكثير من تساؤلات بارك البحثية و معظم هذه الكتابات تناولت الجماعات و الضواحي و المؤسسات الحضرية ، حيث نظر " بارك " إلى المدينة بإعتبارها مجتمعا جديدا و معملا يقدم لعالم الإجتماع موضوعا كاملا عن الظواهر الإجتماعية و خاصة فيما يتعلق بالمشاكل المرتبطة بتكامل التكوين الإجتماعي الذي يتعرض للتغير السريع و كأنه حدد بهذا الموقف موضوعات الدراسات الحضرية و مجالها و كأنه وضع حجر الأساس لعلم الإجتماع الحضري و أسهم في الوقت ذاته في معالجة بعض القضايا ذات الأهمية الكبرى في دراسات التغير الإجتماعي ، و هذا إن دل يدل على إعتراف " روبرت بارك " بالمدينة و إعجابه لم يكن له حدود الأمر الذي جعله يدفع تلاميذه من طلبة الدراسات العليا إلى " المدينة " لبحث كل مظاهر الحياة الإجتماعية فيها و عمل أول رئيس للإتحاد الحضري في شيغاكو.

المحور الثاني : مدرسة شيغاكو الأولى

المبحث الأول : إسهامات إميل دوركايم (1858-1917)

تمهيد :

إن السوسيولوجيا عند دوركايم تهتم بدراسة الظواهر الإجتماعية و لقد شبه الظواهر الإجتماعية بالأشياء و لقد أوضح حالات عديدة تكشف عن معنى القصر و الإلتزام الذي يقصده لقد أسس دوركابم تحليله في تقسيم العمل في المجتمع على مفهومه على نوعين من المجتمعات النوع الأول الأكثر بساطة يتميز بالتضامن الألي و هو ذو بناء إجتماعي غير متباين نسبيا و ينعدم فيه تقسيم العمل أو يوجد في أدنى درجاته أما النوع الثاني يتميز بالتضامن العضوي و به تقسيم واسع للعمل و هو حقيقة إجتماعية مادية تتضمن الدرجة التي يتحدد فيها تخصيص العمال و المسؤوليات .

المطلب الأول : التضامن الألي و التضامن العضوي

لقد حاول إميل دوركايم أن يربط أشكاله و صوره المختلفة و أنواعه و الظواهر الإجتماعية التي إعتبرها أثارا لهذا النوع من تقسيم العمل و يرى أن الأفراد في المجتمع البدائي مجانسون لأن تقسيم العمل هنا في حالته البسيطة " و لذلك يرتبط الأفراد بما سماه التضامن الألي الذي يتميز بخضوع الأفراد لما يمليه الرأي العام و التقاليد و تكون المسؤولية هنا جمعية و يكون المركز الإجتماعي موروثا ، فتكون شخصيات الأفراد متعددة و متنوعة في الوقت ذاته و يرجع ذلك الإختلاف في الخبرات و الوظائف التي يمرون عليها أو يقومون بها و من ثم يرتبط الأفراد في مثل هذه المجتمعات بالتضامن العضوي الذي ينجم عن حاجاتهم إلى خدمات بعضهم البعض و لذلك تكون الفردية هي السمة الغالبة "[1] و حسب دوركايم فإن شكل الروابط الإجتماعية يمكنهما أن تفسر لنا النظام الإجتماعي ككل و قد حدد أشكال التضامن الإجتماعي إلى نموذجين أساسين فالتضامن الألي يسود في المجتمعات التقليدية حيث يسود في المجتمع شعور جمعي يتشابه الأفراد من حيث وظائفهم و تصوراتهم و منه

[1] - محمد سعيد عبد المجيد ، وجدي شفيق عبد اللطيف ، **المدخل إلى علم الإجتماع** ، دار الكتب ، القاهرة ، 2005 ، ص104

يسير التضامن الألي وفق مبدأ التشابه و التجانس الإجتماعي بحيث نجدهم أقل إختلافا و لديهم نفس المشاعر و المعتقدات و العادات و الأراء .

أما التضامن العضوي فيرتبط بالمجتمعات الحديثة من جراء تقسيم العمل ، يحدث إختلافا كبيرا في الخبرات و الوظائف فيصبح وجود الفرد ضروري بالنسبة للكل فسيره يقوم على أساس الإختلاف و بالتالي لا يتشابه الأفراد و لكنهم واعون بدورهم تجاه السير الحسن للكل و يذهب دوركايم إل أن الإختلاف الرئيسي في المجتمعات التقليدية و المجتمعات الحديثة يرجع إلى النظام الإجتماعي ففي المجتمعات التقليدية يعتمد النظام على التقاليد و القيم المشتركة أي التماسك الإجتماعي يعتمد على التشابه فنجد الفروق الفردية في المجتمعات الحديثة و يبنى التضامن الإجتماعي على الإعتماد المتبادل بين الأفراد أكثر من تشابههم و يؤدي هذا الإعتماد المتبادل و تقسيم العمل إلى مجتمع مستقر فهو يؤكد ضرورة الإهتمام بدراسة النظم الإجتماعية و العمليات الإجتماعية التي تحدث داخل المجتمع الإنساني" كما أكد على أهمية تحليل العلاقات المتبادلة بين النظم و الحقائق الإجتماعية أو الظواهر الإجتماعية فأحد الإسهامات الأساسية لعلم الإجتماع في نظره تتمثل في الوعي بالإرتباط و التداخل و التساند بين الحقائق الإجتماعية "[1]

فمن الناحية التحليلية يعرف الشعور الجمعي بأنه نسق فكري مشكل من أفكار و قيم و مشاعر و معتقدات التي يعتنقها أفراد المجتمع و لهذا الشعور حياته الخاصة و إستقلاليته بالنسبة لمختلف ضمائر الأفراد أما من الناحية المنهجية فالشعور الجمعي يختلف عن الشعور الفردي لأنه مجموع هذا الأخير لا يشكل الشعور الجمعي ، بل يوجد في شعور فردي أما في المجتمع الذي يقوم على التضامن العضوي فإن تقسيم العمل يظل ينمو حاملا معه عناصر عدم التشابه بين الإفراد و مؤديا إلى زيادة التضامن في المجتمع و بالتالي فكلما زاد التساند كلما قل تأثير الشعور الجمعي [2]

[1]-نبيل السمالوطي **البناء النظري لعلم الإجتماع ، مدخل لدراسة المفاهيم و القضايا الأساسي**ة ، ج1، ط1 دار الكتب ، القاهرة ، 2007 ص59

[2] - محمد عاطف غيث ، **دراسات في تاريخ الفكر و إتجاهات النظرية في علم الإجتماع** ، دار النهضة ، بيروت ، 1975 ،ص36

يشير التضامن الألي إلى الروابط الإجتماعية التي تبنى على التشابه و على المعتقدات و العادات و الطقوس و الرموز المشتركة و هذا التضامن إلى نتيجة لتوحد المشاركين فيه من يعيشون في وحدات أسرية أو قبائل أو بلدان صغير تقريبا في الجوانب الأساسية و يتوحدون ألیا دون تفكير تقريبا ، و على النقص يصف التضامن العضوي النظام الإجتماعي المعتمد على الفروق الفردية بين السكان و يميز المجتمعات الحديثة خاصة المدن ، و يعتمد على على التقسيم المعقد للعمل حيث يتخصص السكان في مهن كبيرة مختلفة [1] و منه فإن الأفراد يعتمدون على بعضهم البعض في مواجهة إحتياجاتهم الأساسية شأنهم شأن الكائن العضوي ، و لقد فرق دوركايم بين نموذجين أساسين للمجتمع إستنادا إلى مدى تقدم تقسيم العمل " النموذج الأول يقوم على ما أطلق عليه التضامن الألي و الثاني يرتكز على التضامن العضوي (...) فقد يسود المجتمعات البدائية و الجماعات الأولية نظام تقسيم العمل بسيط غير معقد قائم على التضامن الإجتماعي الميكانيكي ، حيث شخصية الفرد مذابة في شخصية المجتمع بينما يسود المجتمعات الصناعية و الحضرية نظام معقد و مكب مما سبب ظهور التضامن الإجتماعي العضوي الذي يسمح بحركة كبيرة للفرد من حيث التعبير عن حريته و فرديته و بالتالي يصبح المجتمع أكثر ديناميكية "[2]

و منه نستنتج أن إميل دوركايم طرح فضاء من التصورات الجماعية أو الروابط المعنوية المتمثلة في الوعي الفردي و الشعور الجماعي و الممارسات الإجتماعية أي الروابط الإجتماعية و المتمثلة في التضامن الألي أو التضامن العضوي أنهما مترابطان فيما بينهما فكلما كانت التصورات الجماعية قوية كانت الروابط الإجتماعية قوية و العكس صحيح "ففي المجتمعات الصناعية فإن المجتمع يفشل في تحديد الأهداف ووسائل بلوغ تلك الأهداف بحيث تنسجم مع الإمكانات المتاحة و تحظى في نفس الوقت بالقبول و التقدير الإجتماعي ، كما أصبحت الثروة و النفوذ أهدافا في حد ذاتها و غدا الأفراد عاجزين عن تحقيق المكانة

[1] - وجدي شفيق عبد اللطيف ، **علم الإجتماع الحضري و الصناعي** ، مرجع سابق ذكره ذكره ، ص51

[2] - ياس خضير البياتي ، **النظرية الإجتماعية جذورها التاريخية و روادها** ، الجامعة المفتوحة ، ط1 ، طرابلس ، 2002 ،ص95

الإجتماعية التي يطمحون و يسعون إليها لأنهم لا يملكون الوسائل المقبولة إجتماعيا لبلوغها "[1] و من جراء هذه الأوضاع يدخل الأفراد في صراع مع القيم وفق المعايير الإجتماعية مما يؤدي غلى تلاشيها فيدخل المجتمع في حالة اللامعيارية .

المطلب الثاني : دراسة الإنتحار عند إميل دوركايم

لقد قام إميل دوركايم مؤسس علم الإجتماع وواضع أصوله المنهجية بدراسة ظاهرة الإنتحار التي يعد جريمة و الجريمة هي شكل من أشكال الخروج عن قواعد السلوك التي يضعها المجتمع لتنظيم حياة الأفراد " إذ أن من الحقائق الإجتماعية أن لكل مجتمع أنظمته الإجتماعية و أعرافه و أدابه السلوكية و طرقه الشعبية التي تضبط سلوك أفراده "[2] فوضع عام 1891 كتاب " الإنتحار " يعد مؤلفا هاما للسوسيولوجية الإمبريقية يبين في عرض له يحلل من خلاله الإحصاءات الأروبية التي ترجع إلى القرن الذي عاش فيه و كان أول من تطرق لتحديد مفهوم الإنتحار و أسبابه فقد كان يرى أن معدل حوادث الإنتحار يعكس سيطرة المجتمع على الفرد و لهذه السيطرة وظيفة معقدة يدعوها بوظيفة الإندماج الإجتماعي ، و إعتبر ظاهرة الإنتحار بل دلالة عن طبيعة الأخلاق السائدة في مجتمع معين ، و بذلك رفض التفسيرات السائدة في القرن 19 م و المتمثلة في دور الوراثة ،الجنون ، المناخ و تقليد الأخر في إنتحاره فحاول كشف العوامل المفسرة لتلك الظاهرة من المنظور الإجتماعي فالإنتحار يتغير و يتأثر بطريقة معالجته لتكامل المجموعات الإجتماعية فيما بينها بناءا على أن الفرد جزء لا يتجزأ من تكوين هذه المجموعات الإجتماعية ، " فعندما تكون الجماعة متماسكة يتماسك فيها الأفراد و تتبلور قيم و قواعد السلوك لتنظيم العلاقات بين الأفراد بمعنى أخر فالجماعة تعمل على مساعدة الأفراد في إيجاد السبل الناجعة لتحقيق ما يصبون إليه و بالتالي تقل نسبة الإنتحار في مثل هذه المجتمعات "[3] لقد كان دوركايم في حاجة منذ البداية لطرح نظريته بطريقة علمية من أجل التأسيس لمشروعه السوسيولوجي " أن الإنتحار

[1] - فروند جوليات ، تر تسيير شيخ الأرض ، **علم الإجتماع عند ماكس فيبر** ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ،دمشق، 1976 ص99
[2] - عبد الله بن سعد الرشود ، **الإنتحار ، التشخيص و العلاج** ، مركز الدراسات العربية الأمية ، جامعة نايف ، السعودية ،2006 ، ص127
[3] - أحمد عياش ، **الإنتحار ، نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد** ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص94

ليس موضوعا ينتمي حصريا إلى مجال الأخصائيين في الأمراض العقلية و لكنه بالأحرى سلوكا إجتماعيا نتج عن طريق قوى إجتماعية تتجاوز الفرد ، إن هذا الطرح أصيل بالمعنى الذي جعل أليات تفسير إنتشار ظاهرة الإنتحار تتمحور حول مفاهيم علم الإجتماع الدوركيمي و بالرغم من عدم تجاهله لوجود إظطرابات نفسية كأسباب مصاحبة للإنتحار غير أنه جعلها في الدرجة الثانية ، إن هذه الفرضية لازالت قائمة بعد مرور أكثر من قرن من الزمن حيث تواصل النظرية الدوركايمية تنشيط النقاشات العلمية خاصة منذ الترجمة الإنجليزية في 1954 و الإهتمام الذي أولاها إياه الأستاذ تالكوت بارسونز من جامعة هارفارد [1] حيث بدأ دراسته بتعريفه لظاهرة المدروسة ثم يواصل دراسته بإعتباره الإنسان حيوان إجتماعي مما يجعله يشكل خطرا على المجتمع عن طريق رغباته و إرادته اللامحدودة فالحفاظ على التماسك الإجتماعي لابد من أن يكون ضغط مزدوج يمارس من خلال المؤسسات المختلفة (السياسة ، العائلية ، الدينية) و هذا يجعل الإنسان يؤدي دوره الإجتماعي من أجل تحقيق غياته الشخصية ، لقد إعترف دوركايم منذ البدء بتعدد القوى التي يمكن أن تقود إلى الإنتحار و تناقضها ، أن هناك أنواع مختلفة من الإنتحار بقدر تنوع أشكال القوى الإجتماعية التي تسببه و يمكن لهذه القوى إما أن تترك الإنسان على حريته و تقوده بذلك إلى فوضى رغباته و أهوائه فهذا الفراغ الإجتماعي و ضعف الروابط هما السائدان – أو بالعكس تمارس ضغط و كأن الفرد ليس له إمكانية الوجود فهناك ضغط المجتمع هو المؤثر و يتعلق الأمر إذن بنظرة أخلاقية ترى ضرورة قيام المجتمع بتوجيه الفرد دون خنقه فلابد من ترك مساحة للتعبير عن غرائزه و رغباته مع إعلائها و ترقيتها بربطها بشكل ما بمصالح إجتماعية " و يؤكد دوركايم أن نسبة الإنتحار ترتبط بالطريقة التي يتم تمفصل بها هذه القوى حول بعضها البعض و ستكون في أضعف نسبة في حالة توازنها و أن الأشكال المختلفة للإختلال الإجتماعي يمكنها أن تتشابك أثارها و نتج عن ذلك أشكالا مختلفة من الإنتحار مثل :

[1]- Brian (M) Tousignand (M) , **Comprendre le Suicide** , PU ,M , Paris , 2004 ,p16

– الأنانية مقابل الإيثارية (الغيرية)

– اللامعيارية (الأنوميا) مقابل الجبرية

– النانية مقابل اللامعيارية [1] و من أشكال الإنتحار عند دوركايم :

1– الإنتحار الأناني

إن هذا الشكل من أشكال الإنتحار لا يرجع إلى مشكل أخلاقي لدى المنتحر بقدر ما يرجعه إلى شكل من أشكال الحياة الإجتماعية و التي يجد فيها الفرد نفسه متحررا من ضغوط و قواعد هذه الحياة " مما يؤدي إلى إنعزال الفرد عن مجتمعه و تمركزه حول نفسه مع غياب القدرة على إيجاد مبررات مقنعة و أسباب قوية لوجوده و إستمراره في الوجود " [2] لقد حاول دوركايم أن يقارن عدد معتبر من الجداول الإحصائية الموجودة في الدول الأوربية، و لقد تبين وجود علاقة إرتباط بين نوع الإنتماء الديني و نسب الإنتحار إلى أنه في أي مكان مهما إختلفت المجتمعات فإن الكاتوليك يتميزون بمعدلات إنتحار أضعف من تلك التي يتميز بها البروتيستانت كما حاول "دوركايم تبرير" ضعف معدلات الإنتحار عند اليهود بإعتباره يهودي فتصول أن اليهود معرضين للتهميش الإجتماعي لذا يجب عليهم أن يتقبلوا مراقبة سلوكاتهم عن طريق إنضباط صارم بغرض مراجعة المنافسة التي يتعرضون لها في كل أنحاء أوروبا ، رغم أن اليهودية أقل مركزية من الكاتوليكية و تمنح قد كبير من الحرية ، إن إنتشار ظاهرة الإنتحار في المجتمعات الصناعية يعكس هشاشة النسيج الإجتماعي و ضعف علاقات الأفراد بعضهم البعض و غياب الشعور يالإنتماء إلى المجتمع " فيعيش معزولا عن الإطار الإجتماعي للمجتمع إذ يفعل ما يشاء و يسعى فقط لتلبية و إشباع حاجياته الخاصة و تحقيق مصالحه الذاتية و في ظل هذه الوضعية فعندما يصاب الفرد بصدمة عاطفية ، مالية أو إجتماعية فإنه مباشرة يفكر في الإنسحاب من الوجود لأنه لا يشع بالإرتباط مع أية فئة إجتماعية بما أن علاقته بالمجتمع كانت مبنية على المصلحة

[1] - حسن فايد ، **دراسات في السلوك و الشخصية** ، ط1 ، مؤسسة طيبة للنشر ، القاهرة ، 2004 ، ص298

[2]- أحمد عياش ، مرجع سابق ذكره ، ص94

الخاصة و النزعة الفردية و الأنانية المطلقة [1] و حسب دوركايم " عندما تحتد الفردية عند الفرد و يحس أنه في عزلة عن الكيان الإجتماعي ، فإنه يعجز حينئذ أن يدرك أو يحس بقوة أية سلطة أخرى خارج نطاقه الفردي ، فيصير فريسة لعزلة حتمية تؤثر في حياته و تطبعها مما يجعلها غير محتملة فتكون حياته متوترة كما يشعر بالقلق و الحزن من المستقبل و لا يجد أمامه الدعم الإجتماعي و من ثمة فالنهاية حتما ستكون التفكير في وضع حد لأيامه[2] لقد كان دوركايم ينظر بعين النقد إتجاه الليبرالية الإقتصادية و السياسية التي تطبع المجتمع الصناعي فوجد أن أعلى نسب الإنتحار تظهر عند ذوي المهن الحرة و الفئات الإجتماعية الميسورة و هو ما أسماه ثمن الحرية الذي تتميز به هذه الطبقات من المجتمع كما أن الإنسان بإعتبارهن أقل تعليما و بالتالي أقل تعرضا لعواقب حرية التفكير فإنهن الأقل إنتحارا مقارنة بالرجال و يضيف دوركايم أن الزواج و الأولاد يحمون ضد الإنتحار بتوجيه طاقة أعضاء العائلة غلى تحقيق الأهداف المشتركة ، كما أن الباء و الأمهات أقل ميلا إلى الإنتحار مقارنة بأولئك الذين لا أولاد لهم من المتزوجين .

2- الإنتحار الإيثاري

لقد إقترح دوركايم عبارة الإنتحار الإيثاري لتفسير أشكال الإنتحار الأكثر مشاهدة في هذه المجتمعات إن مصطلح إيثاري لابد أن لا يفهم بمعنى أخلاقي فهو ليس إنتحار يرجع إلى عظمة الروح أو بطولية أولئك الذين يقدمون عليه و لكن و بدقة أكثر إنتحارات مفروضة بواسطة التقاليد أو سيناريوهات محدد فهو ينبثق من تكامل إجتماعي قوى و روابط إجتماعية صلبة صلابة الأسمنت إلى درجة ذوبان النزعة الفردية في التكامل و التضامن الإجتماعي "إن فكرة الغيرية يعكس شدة عامل التكامل الألي الشديد أين تكون الإرتباطات الجمعية و الضغوط الإجتماعية قوية جدا فنظرا للقيمة التي يمتاز بها الفرد في مثل هذه المجتمعات إتجاه نفسه و إتجاه الأخرين فإنه لا يجد مقاومة من جانبه تحول بينه و بين فكرة الإنتحار[3]

[1] - معن خليل العمر ، **التفكك الإجتماعي** ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006 ، ص163

[2]- يوسف ميخائيل أسعد ، **المشكلات النفسية حقيقتها و طرق علاجها** ، دار النهضة للطبع و النشر ، الفجالة ، القاهرة ،1988 ،ص169

[3] - أسعد يوسف ميخائيل ، **المشكلات النفسية الإجتماعية** ، رؤية تفسيرية ، مؤسسة صلبة لنشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ،1988 ، ص45

و عليه فإن الإنتحار الإيثاري هو شكل من أشكال التكامل الإجتماعي القوي الذي يمتص النزعة الفردية و تشجعه الجماعة و ينتشر هذا النوع من الإنتحار في المجتمعات التي لا تعترف بوجود الفرد و مكانته و تراجع القيم و المعايير الفردية و بالتالي فهو نتيجة لأسباب لها علاقة بالمعطيات الثقافية و الإجتماعية .

3- الإنتحار الفوضوي (اللامعياري)

يشير هذا الشكل من أشكال الإنتحار على الوجود القوي للقواعد أو المبادئ التي تستقطب العواطف و التي من دونها نتوجه للفوضى و هو علامة عن الإنحلال و التفكك في المعايير الإجتماعية و هو مرتبط أساسا بالأزمات الإقتصادية و التي تؤدي إلى حالة لا توازن فتصبح رغبات و طموحات الأفراد غير موجهة نحو أهداف ثابتة و يسمى أيضا" الإنتحار اللاقياسي أو اللامعياري الذي ينتج من إنحلال الذي يعم النظم الإجتماعية السائدة نتيجة التغيرات الإجتماعية المفاجئة و السريعة التي تهتز لها الأعراف و القيم و المعايير الإجتماعية السائدة [1] كما يرى دوركايم ان إرتفاع معدلات الإنتحار التي رافقت التحولات الإقتصادية في أوروبا سواء ما يتعلق بمراحل الإزدهار أو تلك التي عرفت التراجع و أن هذه الدورات الإقتصادية رافقها إعادة النظر ، كما أن هذا النوع من الإنتحار كثير الإنتشار في المجتمعات التي تعرف التقلب السريع و هو يعكس التفكك الإجتماعي الذي يحث على مستوى الروابط الإجتماعية إذ يفكر الفرد في الإنتحار عندما تتحطم علاقاته بالمجتمع فعندما يضعف تأثير القيم و المعايير و النظم الإجتماعية عند الفرد فلا يدرك الخطأ من الصواب يصبح الفرد تحت هيمنة قوة الجماعة و يفقد الضوابط و التحكم في سلوكه مما يجعله لا يشعر بالأمان و الإطمئان حيث لا يستطيع المجتمع خاصة في حالات الإزدهار أن يفرض نوع الحكمة الإجتماعية على رغبات الأفراد فتزداد هذه الأخيرة بطريقة غير مبررة و عليه فإن اللامعيارية هي حالة ناتجة عن عدم التوافق بين الغايات و الوسائل .

[1]- Emil Durkuim , 1897, **le Suicide étude sociologique** , press universitaire de France , collection biblitheque, philosophique , edition eloctronique ,

إن المنهجية الإحصائية المستخدمة من طرف دوركايم و التي تم تحديدها في كتابه " قواعد المنهج في علم الإجتماع " كانت إمبريقية و يبدو من الواضح أن الأفعال الإجتماعية لا يمكن فصلها عن الشكال التي يتناولها في الحالات الفردية ، فلابد من الوصول إلى تحليل الإنتحار عن طريق قانون الأرقام الكبيرة و الهدف كانت تحديد الظروف التي ترتبط بها النسبية الإجتماعية للإنتحار و تغيراتها ، بمعنى الأسباب التي تؤثر على الجمعة و من ثم وضع أقسام نسبية إنطلاقا من هذه الظروف فإعتبر دوركايم أن افنتحار ظاهرة محصنة تشير إلى طبيعة الخلاق السائدة التي ينفرد بها كل مجتمع عن الأخر ، كما أشار أن الإنتحار يفضح سلطة المجتمع على الفرد يتأثر و يتغير بطريقة معاكسة لتكامل المجموعات الإجتماعية فيما بينها بحيث يعتبر الفرد جزءا هاما منها، و منه ينظر للإنتحار بإعتباره علامة إجتماعية و مؤشر على توجه الروح الجماعية ما يقوده إلى تأكيد فكرة أنه ليس الأفراد هم الذين ينتحرون بل المجتمع هو الذي ينتحر من خلال بعض أعضائه فهو يوجد إذن مستقل عن تجلياته الفردية ن و للتصدي لظاهرة الإنتحار كما يرى دوركايم لابد في الإرتباط و التضامن الإجتماعي بين الأفراد و الجماعات " و لقد شاطره الرأي هنري و شورت Henrry ,Short إذ أشارا إلى مفهوم التكامل الإجتماعي من منظور دوركايم الذي يعني قوة نظام العلاقات الإجتماعية و صلابتها بين الأفراد و شدة عوامل الضبط و الكفاءة الخارجية [1]

[1] - مكرم سمعان ، **مشكلة الإنتحار ، دراسة نفسية إجتماعية للسلوك الإنتحاري** ، دار المعارف ، القاهرة ،1964 ، ص143

المبحث الثاني: دراسة الفلاح البولندي" وليام توماس و فلوريان زنانيكي"

أولا : لمحة عن حياة وليام إسحاق توماس (1863-1947)

يعد وليم توماس من الجيل الأول للباحثين المنتمين لمدرسة شيغاكو ، حيث إلتحق بالجامعة كأستاذ مساعد من سنة 1897 كأستاذ مشارك 1900 و جاء على السوسيولوجيا عن طريق الفلسفة و علم النفس الإجتماعي (هربرت سبنسر) و ظهرت النزعة الفلسفية الإجتماعية في أعماله الأولى تناول فيه قضايا إهتمت بالإختلافات الجنسية و مدى تأثيرها على السلوك لقد قام وليام توماس و الذي يعد من أهم مؤسسي جامعة شيغاكو لسوسيولوجيا ، و هو من درس بها في أول قسم لسوسيولوجيا سنة 1892 ، قبل أن ينتقل بعد ذلك إلى أرويا ليصبح رئيس للجمعية السوسيولوجية الأمريكية ، لقد إهتم عن كثب بالمشكلات الإجتماعية المتعلقة بالكثافة الحضرية و بتعايش الإثنية و الإجرام ، حيث إنطلقت بمبادرة منه الأبحاث الأمبريقية حول الجاليات المهاجرة و التي جسدها في أحد أهم أعماله على الإطلاق " الفلاح البولندي ، قصة مهاجر ، و الذي شاركه في تأليفه فلوريان تزانييكي عام 1914 الذي كان أول علماء الإجتماع البولنديين الذين شاركوا في إنشاء المعهد البولندي لعلم الإجتماع و المجلة البولندية المتكون من 05 مجلدات نشرت ما بين 1918-1920 و الذي يعد بصفة أساسية دراسة في النظم الإجتماعية من وجهة نظر علم الإجتماع الوحدات الكبرى ، حيث تم فيه نقل علم الإجتماع من النظرية و البحث المكتبي إلى البحوث الميدانية و كان تاثيره يتمثل في تأسيس للمنهجية السوسيولوجية المتبنية للمقاربة الكيفية و الخروج لمواجهة الوقائع .

المطلب الأول : الفلاح البولوني و بداية البحث السوسيولوجي الميداني

يعتبر وليام توماس W.Thomas إلى جانب " روبرت بارك " العالمين اللذين تركا بصماتهما الواضحة في مجموع السوسيولوجيا الأمريكية و بالخصوص في الفترة ما بين الحربين العالمتين و يرجع لهما الفضل في وضع أسس مدرسة شيغاكو و كان تأثيرهما الواضح يمثل أساس في تأسيسهما للمنهجية السوسيولوجية المتبنية للمقاربة الكيفية بالخصوص و خروجهما بالسوسيولوجيا من المكاتب إلى مواجهة الوقائع في الميدان و يعتبر " إرنست بيرجس " Burgess أن أهمية توماس تكمن في أنه كان المعلم الأول للسوسيولوجيا الحضرية

في شيغاكو كما أن دوره الكبير يرجع أساسا إلى شخصيته الفذة و إلى التأثير الذي أحدثه في وسط زوملائه و إلى حيوية و قدرته الكبيرة على العمل " ، لقد كان وليام توماس ضمن أول فوج يسجل في قسم الإنتروبولوجيا بجامعة شيغاكو سنة 1822 و بذلك كان أيضا ضمن أول فوج يتخرج من هذا القسم و تظهر أول مقالاته في 1907 إلا أن إنجازه العلمي الأكبر سيكون هو الدراسة التي أنجزها بمعية فلوريان زنانييكي Zananeicki " حول الفلاح البولوني في أوروبا و أمريكا " و هي الدراسة التي أنجزها إبتداءا من سنة 1908 و التي ستكون بحث سوسيولوجي ينجز بفضل منحة مالية هامة (50 ألف دولار) من طرف السيدة كليفر .cluverM من تمويل مشاريع بحثية عديدة و إختيار الهجرة البولونية بالتحديد كموضوع جاء نتيجة لكون توماس كان يجد نفسه حائرا أما م السلوكات الغريبة للمهاجرين البولونيين في الولايات المتحدة الأمريكية ، و لذلك إعتبر أن هذه السلوكات المتناقضة تجعل من هذه الجماعة مشكلة إجتماعية تستحق أن يتجه الباحثين الإجتماعيين بالبحث و الدراسة في عام 1918 سيشرع وليام و زنانيكي في نشر دراستهما المشاركة و سيصبح هذا الكتاب " شهادة ميلاد السوسيولوجيا الأمريكية الحديثة " واحد من أهم المراجع التقليدية في علم الإجتماع الحديث ، و يعتبره مؤرخو علم الإجتماع أول بحث يستحق تسمية " بحث سوسيولوجي " لأن مادته و مفاهيمه و نتائجه تم إستنباطه و إستخراجه من تحقيقات ميدانية واسعة ووثائق متنوعة تم التنقيب عنها و تجميعها و تحليلها من طرف الباحثين أنفسهم .

و تتطرق هذه الدراسة التي تم نشرها في خمسة أجزاء برعاية زنانيكي ما بين 1918 – 1920 لوضعية الفلاحين البولونيين في موطنهم الأصلي ثم وضعيتهم بعد هجرتهم لأمريكا و محاولة التعرف على نمط عيشهم في بولونيا ثم ما طرأ من تغير على نمط العيش هذا بعد هجرتهم إلى أمريكا و يقول توماس " إن هذا الكتاب عبارة عن مونوغرافيا لفئة إجتماعية فعلية في مرحلة من مراحل تطورها ، و هذا ما دفع الباحثين لدراسة المهاجرين في موطنهم الأصلي و في مكان الوصول و محاولة من أجل الكشف على أنماط و أشكال التفاعل و العلاقات بعد الهجرة و التي ينتجونها مع المهاجرين المنتمين لمختلف الأعراق و الأجناس الأخرى و هذا ما يستدعي التطرق إلى موضوع الإندماج أو الإنصهار و مسألة

القيم و المعايير الإجتماعية و مظاهر سوء التنظيم الإجتماعي و إعادة التنظيم ، سيتم من خلال وثلئق خامة ستتم معالجتها إعتمادا على مناهج و تقنيات جديدة و مبتكرة تم توظيفها لمقارنة الوقائع و دراستها و المنهجيين الرئيسيين اللذين تم إستعمالهما أكثرهما تقنية (دراسة حالة ، المنهج البيوغرافي) و تقنية تحليل المضمون و المعطيات المجمعة[1] و بهذه الطريقة كانت عبارة عن وثائق ووسائل شخصية متبادلة بين البولونيين المهاجرين و ذويهم في الوطن الأم (الأصل) و قصص و حكايات الحياة و المذكرات ، كما تم الإعتماد على مقالات الجرائد و لوائح الإنتساب لجمعيات المهاجرين و محاضر إجتماعات الجمعيات البولونية – الأمريكية و تقارير المحاكم و الشرطة و مؤسسات المساعدة الإجتماعية ، هذه بالإضافة إلى تقنية السيرة الذاتية (البيوغرافيا) و التي تمثلت في السيرة الذاتية الطويلة و المشوقة (300 صفحة) لمهاجر بولوني شاب يدعى (فلاديك ويزنياوسكي Wlaseck) و رغم أن عدد الوثائق التي تم الوصول إليها و تجميعها غير معروف ، إلا أن ألفا منها قد إستغل و بشكل كبير منها لتأليف هذا الكتاب الضخم في السوسيولوجيا .

و إعتمادا على هذه القراءات الفعلية للسوسيولوجيا الأمبريقية و البداية الفعلية و التطبيقية للإتجاه الكيفي في البحث السوسيولوجي و ليس هذا فحسب أهم ما يمكن أن يذكر و إعتمادا على هذه القراءات بدأ "توماس" يتساءل عن مدى صحة و إمكانية : أن تحدد السلوكات الإجتماعية بالبيئة و ليس بالغرائز و من ثمة فإن الإختلافات بين الجنسين و بين الأعراق لم تعد تبدو له من طبيعة بيولوجية و إنما ثقافية [2]

سينطلق توماس و زنانيكي من هذا التصور ليحاولا الوصول إلى معرفة الوقائع الإجتماعية كما هي ، و بذلك من خلال التوجه التفاعلي الرمزي الذي كان مهيمنا على سوسيولوجيا شيغاكو أنذاك و الذي كان يدعو إلى ضرورة تحديد الأبعاد الذاتية و الموضوعية المؤثرة في التمثلات و الممارسات الإنسانية ، خاصة و أن مشكلة الهجرة و ما تطرحه من مشاكل على مستوى الإندماج و الإنصهار كانت من بين أهم ما يعانيه مجتمع تكون أساسا

[1] - د/عبد الرحمن المالكي ، **مدرسة شيغاكو و نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة** ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2016 ، ص96

[2] - إن أفكار توماس هذه مستقاة من الأنتروبولوجيا الثقافية و ستشكل المدخل الأول للمقاربة الإيكولوجية التي ستسود دراسات التحضر و الهجرة كما سيطورها تلامذته لاحقا

و بالخصوص في نهاية القرن 19 م و بداية القرن 20 م من طبقات و فئات من المهاجرين الذين يتباينون على مستوى التقاليد و اللغات و التمثلات و التطلعات ، و كان المسؤولون الأمريكيون يفكرون أنذاك في إيقاف الهجرة إستنادا إلى بعض التحليلات و التي ستؤدي إلى نشوء مجتمع (هجين ثقافيا) و ممزق عرقيا .

لقد كان رواد مدرسة شيغاكو ينتمون كلهم لما سمي أنذاك بالإتجاه " التقدمي " الذي كان يؤمن " بقدرة المجتمع الإمريكي على إستعاب و صهر كل الأقليات العرقية الوافدة لذلك كانت التغيرات الإجتماعية الهائلة التي تعرفها مدينة شيغاكو حاضرة دوما المتعلقة بما يسميه توماس سوء التنظيم و إعادة التنظيم ، و هما العمليتان اللتان تمسان في البداية حياة الأفراد قبل أن تتحولا غلى نمط عيش جماعي يهيمن على كل المجال الحضري تدخل كلها في إطار سوسيولوجيا التحضر و الهجرة بشكل عملي [1]

1-المواقف الفردية و القيم الإجتماعية

إستعمل توماس مفهوم (الموقف) منذ مقالاته الأولى في سنة 1907 و لكنه سيطور هذا المفهوم بشكل أوضح في كتاب الفلاح البولوني ، يرى توماس و زنانيكي أن التحليل السوسيولوجي ينبغي أن يميز بين القيم الإجتماعية (valeurs sociales) التي يعتبرانها هي " العناصر الثقافية الموضوعية للحياة الإجتماعية و بين المواقف (attitudes) التي يعتبران أنها هي " الخصائص الذاتية لأفراد جماعة معينة ، إن الموقف هو عبارة عن مجموعة من الأفكار و الإنفعالات التي تتحول مع الزمن إلى إستعدادات ثابتة عند الفرد و هي تسمح له بإصدار نفس رد الفعل أمام نفس المثيرات و بطريقة متماثلة دوما و لذلك سيعطي توماس التعريف التالي لمفهوم الموقف : " نعني بتعبير (موقف) سيرورة الوعي الفردي التي تحدد الأفعال الواقعية أو المحتملة للفرد في العالم الإجتماعي ، إن هذا المعنى و الإستعمال لمفهوم الموقف في هذه الدراسة سيجعل منه بالأساس مفهوما سيكولوجيا ، ليؤكد أن (المواقف الذاتية) تدخل بالأحرى في إطار موضوع علم النفس الإجتماعي بينما مفهوم القيم الإجتماعي هو بإمتياز موضوع السوسيولوجيا "[2] و لذلك و بالرغم من هذا التوضيح

[1] - عبد الرحمن المالكي ، مرجع سابق ، ص102

[2] - عبد الرحمن المالكي ، مرجع سابق ، ص103

فإن مفهوم الموقف كما تم بناؤه و إستثماره في كتاب الفلاح البولوني ، سيلعب دورا مهما في دراسة الظواهر المرتبطة بالتحضر و الهجرة و ذلك من خلال مساهمته في المساعدة على فهم و تفسير التغير الإجتماعي و الإقتصادي و الثقافي الكبير الذي يجد المهاجرين أنفسهم في خضمه خصوصا ما يتعلق الأمر بالهجرة من قرى فلاحية متخلفة في بولونيا إلى مدينة ميتروبولية كبرى في الولايات المتحدة الأمريكية .

2 الوضعية

لقد كان وليام توماس السباق إلى إستعمال مصطلح " الوضعية " هذا التعبير و ذلك كمساهمة منه في البحث عن حل لأحدى القضايا المنهجية التي كانت تثار بين علماء الإجتماع أنذاك على التصريحات الشخصية التي يتم تجميعها في مقالات الأبحاث الميدانية و إعتبرها وثائق صحيحة ، و الحالة هذه أنه لا يمكننا التأكد من كون أن المستجوبين يقولون الحقيقة و جوابا على هذا التساؤل كان توماس يرد " إذا ما إعتبر الناس بعض الوضعيات كوضعيات واقعية فإنها ستكون واقعية بنتائجها ، si les gens considèrent certaines situations comme étant réelles elle sont réelles dans leurs conséquences" إن مفهوم تعريف الوضعية سيتضح أكثر من خلال تطبيقه في كتاب الفلاح البولوني حيث يستعمل زنانيكي و توماس بالخصوص على توظيفه في دراسة (الوضعية) المهاجرين قبل و بعد الهجرة ، و سينتهيان من خلال ذلك التوظيف إلى نتيجة مفادها أن الفرد يتصرف إنطلاقا من البيئة التي يدركها و التي تحيط به أو يواجهها ، إن الفاعل الإجتماعي (الفرد) يسعى في كل مقام يجد نفسه فيه إلى تحليل ذلك المقام إنطلاقا من معارفه و تجاربه السابقة و من مستلزمات القيم و الثقافة السائدة ، الشيء الذي يوفر له القدر الكافي من المعلومات التي تساعده على تأويل ذلك الوضع و تعريفه و التصرف وفقا لذلك التأويل أو التعريف ، و يرى توماس و زنانيكي أن هذا الفاعل الإجتماعي غالبا ما يجد نفسه في الوضعية الحرجة التي تتجلى في تعارض تعريفه الذاتي للوضعية إنطلاقا من وجهة نظره الخاصة مع التعريف الذي يعطيه المجتمع للوضعية نفسها و هنا ينبه الباحثان إلى أن

ما ينبغي أن يهتم به علم الإجتماع هو وجهة نظر الفاعل الإجتماعي .[1] إنطلاقا من هذا التصور سيدعم توماس مشروعية و علمية الإعتماد على الوثائق الذاتية للمبحوثين (رسائل شخصية ، مذكرات حميمية ، سيرة ذاتية) لإنها الأفضل للوصول إلى إدراك الكيفية التي يعرف بها الأفراد وضعياتهم ، إن تعريف الوضعية يعني التصور الواضح إلى حد ما لشروط و درجة الوعي بالمواقف ، فهو شرط مسبق لكل قرار إرادي ذلك أنه في ظل شروط معينة و بحسب مواقف معينة هناك عدة إختيارات ممكنة للفعل ، لا يمكن الحسم فيها إلا بعد إستعراضها و تأويلها و المقارنة بينها و الفعل المفضل لا يتحقق إلا بعد التوصل إلى ضرب من الترتيب النسقي للمواقف بحيث يمكن لواحد منها أن يهيمن على الأخرين ، وسيكون لنظرية توماس هذه تأثير واضح و مستمر على منهجية علم الإجتماع ذلك أن الباحث الإجتماعي قبل أن ينطلق للميدان عليه أن يكون على وعي بنسبية النظر للواقع أي أن يتوقع دائما أن للفاعلين الإجتماعيين أرائهم المتباينة و المختلفة بإختلاف (وضعياتهم) و أنه يعمد غلى النفاذ غلى هذه الأراء و هذه التعاريف المتباينة للواقع و هذا ما يستجوب عليه أن يعمل و يشتغل في البيئة التي تجرى فيها هذه الأفعال أي وضعياتها الطبيعية ، إن هذا التحليل السوسيولوجي الذي يعتمد على تعريف الوضعية إنطلاقا من وجهة نظر الفاعل الإجتماعي لا يزال علماء افجتماع يعترفون بجديته و لا يزالون يعترفون بالفضل لصاحبه خصوصا البحث الإجتماعي الذي يعتمد مقاربة موضوعه إعتمادا على المناهج الكيفية التي تبدأ بتقنية المقابلة ، ففي هذه الحالة على الباحث الإجتماعي كما يقول كلود ديبار : أن يعتبر الناس الذين يتحدثون للباحث ك (ذوات) يعبرون من خلال حوار مطبوع بالثقة عن تجربتهم و قناعاتهم ووجهات نظرهم و تعاريفهم لوضعياتهم المعيشية و بالفعل فإن المقابلات لا تعطينا أبدا (وقائع) و إنما (كلمات) إن الكلمات تعبر عما عاشته أو تعيشه الذات ووجهة نظرها عن العالم الذي هو عالمها و الذي تعرفه بطريقتها .[2]

[1]W.Thomas ,F Znaneicki, **fondation de la sociologie américaine ,** préface et coordination de la traduction , suzi guth , Paris 2000 , ed l'harmattan , p3222

[2] - عبد الرحمان المالكي ، مرجع سابق ذكره ، ص109

3 سوء التنظيم الإجتماعي و إعادة التنظيم

إن مفهوم " سوء التنظيم désorganisation sociale و إعادة التنظيم الإجتماعي réorganisation sociale " مفهومان إجرائيان أكثر لأن توظيفها في كتاب " الفلاح البولوني " سيكون أوضح و تتجلى في ثنايا هذا الكتاب الذي يتكون من أربعة أقسام أساسية

- تنظيم الجماعة الأولية
- سوء التنظيم و إعادة التنظيم في بولونيا
- التنظيم و سوء التنظيم في أمريكا
- حكاية حياة مهاجر في أمريكا

إن سوء التنظيم يستدعي إعادة التنظيم و لذلك غالبا ما نجد المفهوم الأول يستعمل للإشارة إلى التفكك الفردي أو الجماعي و الإنحراف و غياب الرقابة أو ضعف الضبط الإجتماعي بينما إعادة التنظيم يعني السيرورة التي من خلالها و بها يتم الإندماج و الإدماج و الإنصهار و العودة في نهاية الأمر إلى التنظيم .

إن التنظيم الإجتماعي يعني في جوهره مجموعة من التوافقات و المواقف و القيم الجماعية المشتركة التي تتميز بأولوياتها أمام المصالح و الحاجات الفردية و على العكس من ذلك فإن سوء التنظيم الإجتماعي هو ضعف و تراجع تأثير القواعد الإجتماعية السائدة بين أفراد الجماعة ، إن سوء التنظيم الإجتماعي ظاهرة إستثنائية خاصة بل هو ظاهرة نجدها في كل مكان و زمان و لكنها تتقوى في المجتمعات أو الجماعات التي تعرف تغيرات إجتماعية أو إقتصادية أو صناعية سريعة فبدأ سوء التنظيم الإجتماعي في الإنتشار في المجتمع البولوني حسب توماس وزنانيكي لما بدأ الأفراد يعرفون وضعياتهم إنطلاقا من معايير إقتصادية ، دينية و فكرية بدل المعايير الإجتماعية التقليدية و نتيجة لذلك تفقد القواعد الإجتماعية قوتها و تسود الرغبة في النجاح الفردي و إعطاء قيمة أعظم للنقد على الرغبة في الإعتراف الإجتماعي من خلال دراسته للمجموعات البولونية في أمريكا إندهش توماس لسوء التنظيم الإجتماعي التي كانت تؤدي بدورها إلى صراعات داخل الأسرة بل حتى إلى الجرائم .

المطلب الثاني : دراسة الفلاح البولوني

لقد كان توجه وليام توماس التوجه النفسي الإجتماعي و هذا ما سيدفعه لاحقا لإستخدام المنهجية المعتمدة على السيرة الذاتية و قراءة الوثائق و المراسلات الشخصية لإستخراج المعلومات و الحصول على المعطيات الأساسية و موثوقة و تعد من الدراسات الرائدة في إستخدام بعض المناهج و الأدوات الجديدة (كالمذكرات الشخصية ، تواريخ الحياة و الخطابات و إستخدام العامل الإنساني الذي يأخذ في الإعتبار دائما معاني المشاركين في التفاعل الإجتماعي و تعتبر من البحوث التي قامت بوصف منظم للمجتمع مستخدما في ذلك إجراءات منهجية جديدة لم يكن معمولا بها .

في عام 1908 حصل وليام توماس الأستاذ بجامعة شيغاكو على منحة ضخمة من مؤسسة خاصة لدراسة المشكلات المرتبطة بالهجرة الأوربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية و بعد ذلك بقليل قرر أن يركز على الفلاحين البولنديين الذين كانوا يشكلون أكبر نسبة من السكان الأجانب في شيغاكو و يمثلون مشكلة بارزة و في إحدى رحلاته إلى بولندا تعلاف توماس على زنانيكي الشاعر و الفيلسوف و نظم إجرءات سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل معه في هذا المشروع الضخم (....) تتكون البيانات الخام من مجموعة ضخمة من الوثائق: خطابات شخصية ، قصص صحفية ، إستمارات الترشح لجمعية الهجرة ، إحصاءات الروابط البولندية الأمريكية ، سجلات قضايا من المحاكم ، و المؤسسات الإجتماعية ، و لا تعرف عدد الوثائق المجموعة غير أنها ما يزيد عن ألف منها موجودة في كتاب " الفلاح البولندي في أوروبا و أمريكا بما فيها سيرة ذاتية طويلة و مثيرة لمهاجر إسمه فلاديك Wladekو في رأي المؤلفين أن سجلات الحياة الشخصية تعد أكثر أنماط بيانات علم الإجتماع إكتمالا "[1] و يعد حسب المفكرين أن المنهج الرئيسي فيه نمط من أنماط تحليل المضمون و كذا البحث في الوثائق عن شواهد على الإتجاهات و القيم التي يعتنقها الأشخاص الذين تشير إليهم الوثائق و تعد الإتجاهات و القيم بمثابة المصطلحات الأساسية

[1]William Thomas and Florian Zananiecki ,**The Polish Peasant in Europ and America** , New york ,knopf ,1927 ,new york , dover , originally ,Published ,1918-1920

في هذه الدراسة و القيم الإجتماعية عند توماس عبارة عن شيء يشبه الظواهر الإجتماعية عند دوركايم .

و القيمة الإجتماعية هي أي شيئ – مادي أو غير مادي – يعد مفيدا لأعضاء الجماعة الإجتماعية ، على العكس فإن الإتجاه عملية وعي فردي تحدد الأفعال الإجتماعية للفرد و الإتجاه هو الجزء الخاص و الذاتي المتمم للقيمة الإجتماعية .

" و يتحقق المزج بين الإتجاهات الفردية و القيم الإجتماعية لدى كل فرد بواسطة عدد ضخم من الرغبات التي يتمكن من إشباعها في المحيط الإجتماعي ، يمكن حصر الأنماط العامة للرغبات في 4 رغبات :

– الرغبة في إكتساب خبرات جديدة

– الرغبة في السيطرة ن وهذه تشمل الملكية و القوة السياسية

– الرغبة في الحماية و هذه تشمل دعم الزملاء و صحبتهم

– الرغبة في إكتساب الإعتراف و هذه تشمل الإستجابة الجنسية و التقدير الإجتماعي العام

حيث إستبعد وليام توماس الرغبة في السيطرة و أصبحت الرغبات الأساسية هي إكتساب خبرات جديدة ، كسب الإعتراف ، الإستجابة ، الحماية "[1]

حيث قام وليام توماس بتحليل وضع الفلاحين البولنديين في هاتين القارتين أوروبا و أمريكا و تعد الجماعة الأسرية في القرية البولندية التقليدية هي الفاعل الإجتماعي الأساسي و يخضع الأفراد لها إلى أبعد ما يمكن ، تعد واجبات أعضاء الأسرة تجاه بعضهم البعض مسالة إلتزام لا مسالة عاطفية ،و يتم ترتيب الزواج بين الأسر و من الناحية العملية تعد الأسرة الجماعة الإجتماعية المنظمة الوحيدة التي ينتمي إليها الفلاح و هناك تضامنا قويا في كل قرية ، لأن جميع الفلاحين يعتنقون نفس الأراء حول أدوارهم و علاقاتهم كما يؤمنون بنفس المعتقدات حول الدين و السحر ، كما أوضح توماس كيفية تحطم هذا النمط بفعل التغيرات الإقتصادية و المؤثرات الأخرى الخارجية التي أضعفت تضامن الأسرة التقليدية و القرية مما ساعد الأفراد على تكوين إتجاهات جديدة تتعارض نع القيم الأسرية ، كما أدت

[1] - محمد محمود الجوهري ، أسس البحث الإجتماعي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع الأردن ، ط 1 ، 2009 ، ص292

إلى تباين في الأراء و المعتقدات و التوجهات الإقتصادية في القرية كما يعرفان التفكك الإجتماعي بأنه تقلص في تأثير المعايير الإجتماعية على أعضاء الجماعة .

و قد ظهرت صورة أكثر تطرفا للتفكك عندما هاجر الفلاحون إلى الولايات المتحدة الأمريكية تاركين ورائهم قراهم البولندية ، كما إستقلوا عن أسرهم أيضا و يوضحان أن المهاجرين لم يدخلوا المجتمع الأمريكي مباشرة فقد كان مجتمعهم الأول مكونا من المهاجرين الأخرين و كان العالم الذي دخلوه عالم المهاجرين البولنديين الأمريكيين الوطنيين و هنا نجد مرة أخرى أن التفكك تبعه إعادة تنظيم و ظهور إتجاهات و قيم جديدة و يعد البولنديون – الأمريكيون اليوم في الغالب مواطنين ينتمون إلى الجيل الثالث أو الرابع الذي يعني مشكلات تخصه وحده .

المطلب الثالث : قصة المهاجر "فلاديك"

من خلال تحليل السيرة الذاتية للفلاح البولندي فلاديك من خلال الرسائل التي تم جمعها و هو مهاجر بولندي هاجر من بولندا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، عرض توماس و زنانييكي في مقدمة طويلة حكاية فلاديك العوامل الرئيسية التي تسمح بتحللي وضعية المهاجرين و يمكن حصرها في نمط إجتماعي معين إما ، بليد ، بوهيمي ، مبدع " إن مفهوم النمط الإجتماعي قريب من مفهوم أسلوب الحياة ، بالنسبة للباحثان يعرف النط الإجتماعي ، بدءا من مواقف و قيم توجه " تنظيم حياته " و هكذا إستخلصا الباحثان ثلاثة أنماط إجتماعية مهيمنة :

البليد : محافظ و سلوكه راسخ في التقاليد و الضوابط المتبعة ، و سواء أكان برجوازيا أو فلاحا فإن موقفه تجاه الحياة مرسوم بالامتثال للعرف

البوهيمي : منفتح على التغيير ، لكن التغيرات لا تأتي منه ، و هو لا يفعل سوى أن يتأقلم مع محيطه تاركا نفسه تحت تأثير الأخرين

المبدع : يعرف في هذا القاموس كمجدد ، فهو يتمكن من حياته ، لأنه يمتلك قيمه و مشاريعه الخاصة

و تبدو نوعا ما هذه المصطلحات بالية إلا أن الباحثان أستعرها من أدبيات تلك الفترة و الهدف وصف مسار الأفراد المقتلعين من جذورهم القادمين من الزراعة و صاروا يغصون

في عالم جديد سيمضي بعضهم في التمسك بنمط الحياة التقليدية و سيرغب أخرون بإعادة بناء حياة جديدة و صعود السلم الإجتماعي و سيغرق أخرون في البؤس و الجريمة .

و يؤكد توماس و تزانييكي في هذا التفاعل المتواصل بين الفرد و محيطه ، و لا يمكن أن نقول أن الفرد نتاج بيئته ، و لا أنه يقوم بإنتاج بيئته يمكن بالأحرى أن نقول الأمرين معا : " الفرد هو نتاج مصيره و هو منتجه ، و هنا يقدم توماس فكرة لديه : أن الأفراد الموجودين في الوضع نفسه ، سيرتكسون بشكل متباين تبعا لتمثلاتهم لهذا الوضع و هذا ما يسميه تحديد الوضع "[1] قصة فلاديك إذن نموذج لقصة كل مهاجر من خلال سماتها العامة و عليه يجب أن يرتبط كل شيء بسلسلة : دراسة الجالية ، تنظيم زمر الإنتماء ، درجة تنظيمها الإجتماعي و تفككه ، التفاعلات بين الأفراد .

و في الأخير نستخلص من دراسة "الفلاح البولوني " و أفكار وليام توماس و فلوريان زنانيكي أن الغاية من هذا الكتاب هي الرغبة في التأكيد على شيئين أساسين هما :

أولا : مساهمته الواضحة في تأسيس البحث السوسيولوجي الميداني و ذلك إنطلاقا من وجهة نظر تفاعلية الرمزية و هي كرد فعل على الإتجاه الوضعي السائد في فرنسا حيث يؤكدان على أنه " في التفاعل المستمر بين الفرد و بيئته لا يمكننا القول أن الفرد هو نتيجة لوسطه و لا هو منتج هذا الوسط و الأولى القول بأن الأمر يتعلق بهما معا ، لأن الواقع هو أنه لا يمكن للفرد أن يتشكل إلا تحت تأثير بيئته ، ولكن من وجهة أخرى فإن هذا الفرد و هو في مسار نموه يغير هذه النية و ذلك من خلال تعريفه للوضعيات و التصرف إزاءها حسب رغباته و إستعدادته و على حرصه على تحليل أي وضعية إجتماعية من وجهة نظر الفاعل و بذلك ساهم في ترسيخ المقاربة التفاعلية الرمزية في السوسيولوجيا .

ثانيا : إن هذين العالمان أسسا من خلال هذا الكتاب " سوسيولوجيا الهجرة و التحضر " و أسسا منهجية خاصة يتناول فيه (تحليل الوثائق الشخصية ، السيرة الذاتية) و أبرزا أهم المفاهيم المساعدة على دراستهما : المواقف الفردية ، القيم افجتماعية ، تعريف الوضعية التنظيم الإجتماعي ، سوء التنظيم الإجتماعي و سيرورة الإدماج و الإنصهار ، نتيجة لكل

[1] -فليب كابان ، **جان فرانسوا دورتيه ، تر إياس حسن ، علم الإجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية** ، دار الفرقد ،سوريا ، 2010، ص365

ذلك سيكون لوليام توماس و فلوريان زنانيكي تأثير على السوسيولوجيا الأمريكية كلها ، إن هذا الإرث الفكري الذي سيخلقه توماس لجامعة شيغاكو سيتم الإعتناء به و تطويره من طرف عدة علماء إجتماع يعتبرون كلهم تلامذة لتوماس و منهم بالخصوص روبرت بارك ، إرنست بيرجس ، لويس وورث و تلامذتهم من بعدهم .

المبحث الثالث : دراسة ميدلتاون "روبرت ليند و هيلين ليند"

تمهيد

تعد دراسة ميدلتاون من الدراسات التي إهتمت بدراسة المجتمع المحلي ، حيث تعتمد المنهجية في مدرسة شيكاغو و روادها من إنطلاق وجهة نظر الفاعل الإجتماعي و من دراسة افعال و ممارسات الأفراد و دراسة علاقاتهم بالواقع المحيط بهم و محاولة فهم المعاني و المعنى التي يعطوها لهذا الفعل ، و من أجل ترجمة هذا التصور على أرض الواقع تمت الإستعانة بتقنيات خاصة تندرج تحت تسمية علم الإجتماع التطبيقي " المنهج السوسيولوجي الكيفي " التي ستصبح متداولة فيما بعد في مدرسة شيغاكو و يتضمن المنهج تقنيات إستغلال الوثائق الشخصية ، السيرة الذاتية ، المراسلات الخاصة ، مذكرات ، و أيضا تقنية تحليل المحتوى و دراسة الحالة التي تعتمد على الملاحظة بالمشاركة و المقابلة و الشهادة ، و لكن رواد المدرسة شيغاكو لم يهملوا المناهج الكمية في أبحاثهم " التحضر كنمط للعيش " و قد نجد في دراسة " ميدلتاون " نموذجا للتوجه الجديد فقد توجه روبرت ليند و زوجته إلى مدينة مونسي بولاية "أنديانا" muncie ليقدمان بحثا مكثفا عن هذه المدينة 18 تحليلا مفصلا عن الحياة الإجتماعية و لشريحة صغيرة المجتمع الأمريكي و الهدف من هذه الدراسة وضع تصور سوسيولوجي عن المجتمع المحلي .

المطلب الأول :مدخل لدراسة ميدلتاون

تلقى روبرت ليند تعليمه ليصبح كاهنا في الكنيسة البروتستانتية ، و في أوائل العشرينات من القرن الماضي قام روبرت ليند و زوجته بإجراء مسح عن الأنشطة و الممارسات الدينية في المجتمع المحلي الأمريكي و هو مجتمع نمطي و كان المكان الذي إختاره هو مدينة مونسي Muncie بولاية أنديانا و هي تعد مدينة صناعية صغيرة يبلغ عدد سكانها 40 ألف نسمة

و هي تقترب كثيرا من مل ميلاد روبرت ليند و تم الإستعارة بإسم ميدلتاون Middeltown و سرعان ما تتجاوز الدراسة هدفها الأصلي و إتسعت لتغطي جميع الجوانب للحياة الإجتماعية الأساسية المنظمة تحت ستة عناوين هي :

كسب القوت ، تأثيث المنزل ، تنشئة الأطفال ، إستخدام أوقات الفراغ ، المشاركة في الممارسات الدينية ، المشاركة في أنشطة المجتمع المحلي و تنقسم كل فئة من هذه الفئات إلى أقسام أخرى ، فعلى سبيل المثال نجد أن مناقشة أنشطة المجتمع المحلي في ميدلتاون شملت وسائل الإدارة الحكومية ، و المحافظة على الصحة و رعاية المعوقين ، و الحصول على المعلومات ، و العوامل المفضية إلى تضامن الجماعة و كذا العوامل المؤدية إلى إعاقة التضامن[1] و قامت الدراسة على مقارنة دقيقة بين ميدلتاون المعاصرة (1924−1925) و ميدلتاون الجيل الماضي1890 و يعد كتاب " ميدلتاون أول كتب علم الإجتماع التي أصبحت من الكتب الأكثر مبيعا حيث أظهر قوة أسلوب الحياة الأمريكية و قدرته على تحقيق التلائم ، لقد إعتمد الباحثان على إستخدام عدة مناهج و تقنيات لدراسة هذا المجتمع المحلي و أهمها الملاحظة بالمشاركة ، و قام بفحص البيانات الوثائقية ، جمع الإحصاءات ، إجراء المقابلات ، الإستعانة بالإستبيانات ، تقارير التعداد ، سجلات المدينة و الإقليم ، ملفات المحاكم ، سجلات المدارس ، تقارير التعداد ، تقارير الولاية ، اليوميات الشخصية ، سجل القصص ، الأحداث المحلية ، دليل المدينة ، الخرائط ، سجل الغرفة التجارية ، حوليات المدرسة الثانوية ، و شمل برنامج المقابلات محادثات عرضية ، مقابلات مخططة مع ابرز الصحفيين و الإخباريين ، و مسح لعينة من أسر الطبقة العاملة و عينة أخرى من أسر طبقة رجال الأعمال ، و قد إهتمت بدراسة المجتمع المحلي ليوضحا الباحثان أنه هناك متغيرا جديدا حظي بإهتمامها من خلال التركيز على توزيع القوة و التأثير داخل المجتمع المحلي و كيف أن للسلطة الإجتماعية و السياسية و التي تركزت في أيدي أسر معينة كانت تسيطر على الحياة الإقتصادية و العمالة المحلية في المدينة .

[1]Robert S Lynd and Helen Merrell Lynd , M**iddletown , Astudy in American Cultur**e ,New york ,Harcourt Brace 1929

المطلب الثاني : نتائج دراسة ميدلتاون

1 – نتائج الدراسة الأولى

– الإنقسام الحاد للمجتمع المحلي ، إلى طبقة رجال الأعمال و التي تحصل على معظم دخلها من العمل مع الناس .

–هناك طبقة العمال **و** التي تحصل على معظم دخلها من العمل من الأشياء و تختلف هاتان الطبقتان ، و يتضح الإختلاف في فرص الحياة ، نظام المعيشة اليومي (الروتين اليومي) ، العلاقات الأسرية ، و كذلك المعتقدات الدينية و السياسية .

– تشابه عادات أفراد الطبقة العاملة في بعض الجوانب مع عادات افراد طبقة رجال الأعمال من الجيل الماضي ،و تظهر السمات الثقافية الجديدةفي طبقة رجال الأعمال أولا ثم تنتقل ببطء إلى طبقة العمال .

– تتأثر الطبقتين بالتغير الإجتماعي، بدرجة غير متكافئة كما أن الصغار و المراهقين أكثر إستجابة لهذا التغير من أباءهم ، و النساء أكثر إستجابة له من الرجال خاصة في طبقة رجال الأعمال .

– هناك نوع من التدرج فيما يتعلق بسرعة التغير الإجتماعي في النظم الإجتماعية الستة ، إذ كان التغير أكثر سرعة في النشاط الإقتصادي ، يليه وقت الفراغ ن و التعليم و أنشطة المجتمع المحلي ، الأنماط الأسرية ، الدين النظامي على هذا الترتيب و بالنسبة للنسق ككل كان التكيف مع التغير الإجتماعي السريع هو المشكلة .

و في هذا الوقت فاجأ الكساد العظيم الولايات المتحدة الأمريكية و جميع مدنها التي تشبه الميدلتاون و في عام 1935 عاد "ليند "و زوجته إلى مونسي بعد الكساد الإقتصادي مع مجموعة كبيرة من المعاونين لدراسة تأثير الكساد و رصد التغيرات التي أصابت كل نظام من النظم الإجتماعية ، و كانت المناهج المستخدمة في هذا البحث أكثر إختصارا من مناهج البحث الأول و نشر كتاب ميدلتاون المتغيرة ، و فيعام 1935 كانت ميدلتاون قد بدأت تصحح وضعها عن إنهيار الصناعة و البطالة و الخسارة في الممتلكات و المدخرات

التي حدثت خلال الخمس سنوات ، و تعطل التقدم الإقتصادي للمجتمع المحلي ، و أصبح حوالي ربع الأسر يعيش على المساعدات العامة ، و أنخفض نسبة الزواج و الولادة ، و توقف تشييد المباني الجديدة و شهد نظام العمل تحولا بفعل القواعد الفيدرالية و إنتشار الحركة النقابية بين العمال و الصراعات القائمة الفردية ، و قد إكتشف ليند و زوجته حياة بغيضة تغاضيا عنها أو صوراها بدرجة أقل من الواقع عام 1925 ففي ما يخص الدعارة أغفلت الدراسة في المرحلة الأولى انحسارها ، ووجود بيتين أو ثلاثة لممارسة الدعارة ، فبعد عشر سنوات إكتشف ليند وزوجته كانت ميدلتاون في 1925 تمثل مركزا للدعارة و قد فشلا في ملاحظة ذلك و نسبة كبيرة من السكان يعيشون في مساكن مهدمة و إدمان الخمور و منتشرا في 1925 الأهم من ذلك أن ليند و زوجتهالنظر في وجهة نظرهما السابقة حول البناء الطبقي لتأخذ في الإعتبار دور الأسر ذات النفوذ التي تمتلك الصناعة المحلية الرئيسية و التي كانت تمارس نوعا من السيطرة على المجتمع المحلي برمته من خلال علاقاتها الإستراتيجية مع البنوك الرئيسية و المكاتب القانونية و مجلس التعليم و الجمعيات الخيرية و الصحافة و الأحزاب السياسية ، و يبدو أن الكساد عزز هذه السيطرة و أدرك ليند وزوجته وجود طبقة عليا ناشئة تتكون من رجال الصناعة الأثرياء و أصحاب البنوك و المديرين المحليين للشركات الوطنية و قلة ثرية تابعة لهذه الجماعات و يقسمان الأن طبقة رجال الأعمالإلى طبقة وسطى –عليا : تتكون من أصحاب المصانع ، التجار ، أصحاب المهن الفنية المتخصصة ، المديرين التنفيذيين، كما طبقة وسطى –دنيا :تتألف من صغار باعة التجزئة ، العاملين بالخدمات . أصحاب المهن الفنية كما يقسمان الطبقة العاملة إلى الأرستقراطية العمالية المكونة من رؤساء العمال و الحرفيين و العمال المهرة و قطاع كبير من العمال العاملين أمام الألات و العمال شبه المهرة أمام والطبقة الدنيا : تتكون من العمال غير المهرة و العمال الذين يعملون بصفة عرضية أو مؤقتة و كثير من البيض الفقراء القادمين من المناطق الجبلية المجاورة [1] و يستشهد روبرت ليند وزوجته في وصفه للوضع بعد الثورة إن الناس يسيرون إلى الوراء على مضض في إتجاههم نحو

[1] - محمد محمود الجوهري ، **أسس البحث الإجتماعي** ، مرجع سابق ، ص 305

المستقبل ، "إن دراسة ميدلتاون كانت حافزا لدراسات مثيلة في هذا الإطار إذ نلاحظ نفس الإجراءات فقد طبقت في دراسة مدينة يانكي سيتي yankee cityلمؤلفيها "لويد وارنر" مع فريق من الباحثين في مدينة بلغ عدد سكانها 19000 نسمة ، لكن هذه الدراسة لم تحظى بالقبول الأكاديمي الكبير لأن "لويد وارنر" إستخدم متغير (الطبقة) ليتخذه معيارا أوحاديا في وصف مظاهر الحياة الإجتماعية و هو عكس ما قام به روبرت ليند من إستخدامه لعدة متغيرات في وصف حياة المدينة و عموما ركز وارنر على تناقضات بسيطة و سطحية ما بين الطبقات الإجتماعية المختلفة في المدينة "[1]

المبحث الرابع : دراسة هاوثورن " إلتون مايو "

إن نشأة علم الإجتماع في أواخر القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر و التي تزامن مع نشأت المجتمع الصناعي عندما ركز مجموعة من الباحثين على أهمية دراسة علم الإجتماع و علاقته بالصناعة و معرفة التأثير الذي تلعبه الصناعة في إحداث تغييرات هامة في نمط الحياة و العلاقات و النظم و المؤسسات الإجتماعية ، لقد ظهر مفهوم " العلاقات الإنسانية " في الإدارة كرد فعل لمفاهيم النظريات التقليدية و التي ركزت في السابق على فكرة الإنسان كألة و إفترضت هذه المدرسة على إفتراض أن الإنسان " كائن إجتماعي " و عليه فلابد من إيجاد أجواء عمل له تحفزه على العمل و بذل مجهود أكبر ، و لابد من توفير فرص التعاون بين الإدارة و العاملين بما يتيح للعامل إشباع حاجاته الإقتصادية و الإجتماعية و النفسية و قد نسب إلى إلتون مايو (1880–1949) الذي عمل أستاذا بكلية إدارة الأعمال بجامعة هارفارد و أحد العلماء الإداريين المشهورين و يعد مؤسس مدرسة العلاقات الإنسانية و التي أكدت على أهمية الجماعات في تحديد سلوك العمال فالسلوك الفردي للعامل يعد تعبيرا و إنعكاسا لأفكار الجماعة و إتجاهاتها و منه لا يمكن النظر للعمال على أنهم أفراد منعزلون ، بل يجب الإهتمام بالعمال بإعتبارهم أعضاء ينتمون إلى جماعات غير رسمية لها تقاليدها و عاداتها و رغباتها و أعراف يلتزم بها مجمل الأفراد

[1] - محمد علي مجمد ، **علم إجتماع التنظيم** ، الدار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1975 ، ص155

الذين ينتمون إليها لإجراء دراسات شركة ويسترن إليكتريك في مصنع بشركة وسترن إليكتريك في دائرة هاوثورن بمدينة شيغاكو و شركة ويسترن إليكتريك شركة تابعة للشركة الأمريكية للتليفون و التلغراف و هي تصنع معظم المعدات التي تحتاجها الشركة الأم و تعد مصانع هاوثورن من الشركات الضخمة و تعمل في إنتاج الكوابل التليفونية بكميات كبيرة و أثناء القيام بالدراسة كانت نسبة كبيرة من قوة العمل تتكون من الأجانب أو أبناء المهاجرين و كانت نقابة العمال وقتها ضعيفة و مع ذلك لم تكن تبذل أي محاولات جادة لدعم كيان النقابة و تقويتها .

المطلب الأول : تجارب هاوثورن Hawthorne

لقد أوكلت " شركة وسترن إلكتريك الأمريكية " من بين البحوث المتعلقة يالإنتاجية فقد عهدت إلى فريق من المهندسين على " ديكسون Dickson لإجراء دراسة في مصنع هاوثورن " تتعلق بالإنتاجية و عدد من العوامل المؤثرة فيها (المتمثلة في الظروف المادية و فترات الراحة و الأجور الإضافية) أثارت النتائج الغير المتوقعة "إلتون مايو E.mayo الأستاذ بجامعة هارفارد إلى الإنضمام إلى فريق البحث و بالتالي دخلت التجارب أو الدراسات مرحلة جديدة بين سنة 1927 إلى غاية 1932 تحت إشراف مشترك من بعض العاملين بالشركة و فريق الباحثين بجامعة هارفارد و نشر تقرير البحث النهائي تحت عنوان " الإدارة و العمال " عام 1939 من تأليف روثلسبرجر ووليام ديكسون غير أن موجزا بالنتائج ظهر قبل ذلك بعدة سنوات في كتاب إلتون مايو" المشكلات الإنسانية للحضارة الصناعية " و مع أن مايو قدم عرضا مختصرا مبسطا للنتائج فقد صاغها في منظور أويع يوضح صلتها بمفهوم الأنومي عند دوركايم و على أهمية النظريات غير المنطقة في شؤون الحياة اليومية الإنسانية و إيكولوجية شيغاكو كما تصفها مدرسة شيغاكو و النتائج الأولوية لدراسة يانكي سيتي و النظريات النفسية عند جانيت و فرويد و بياجيه ، و سلوك السكان الإستراليين الأصليين و سكان جزر التروبرياد و قد جمع مايو أفكارا رئيسية من هذه المصادر العديدة ليضمها إلى نتائج تجارب هاوثورن بما يدعم إدعاءه الرئيسي و هو أن

الصناعة تحتاج إلى مستوى رفيع للغاية في القدرات و المعارف الإدارية من أجل المحافظة على الإتصال و التعاون الوثيق المطلوبين لكافية الإنتاج و السعادة الشخصية للعمال و تتكون تجارب هاوثورن من خمس دراسات مستقلة لكل منها مناهجها و نتائجها المختلفة و كلها توصلت إلى نتيجة مؤداها إن إنتاج العمال يتحدد بدرجة كبيرة بطبيعة العلاقات الإجتماعية مع زملائهم من العمال و مع المشرفين و هذه التجارب الخمس هي : تجارب الإضاءة ، تجارب خطوط التجميع ، أوقات الراحة ، برنامج المقابلات و حجرة ملاحظة السلوك الإجتماعي ، لقد عمد إلتون مايو إلى إجراء مقابلات مع العاملين و إلى ملاحظة سلوكهم أثناء العمل لمعرفة أسباب الثبات النسبي لإنتاجية العاملين مع تغير كل الظروف المادية للعمل ، و فترات الراحة ، و الأجور الإضافية ، فإتضح أهمية الحوافز المعنوية كنطاق الإشراف ، و العلاقات العمالية في الإنتاجية العاملين ، و بالتالي هناك تأكيد على أهمية النواحي الإنسانية في إنتاجية العاملين .[1] و تمثلت تجارب هاوثورن في مايلي :

أولا : تجارب الإضاءة

لقد أجريت هذه التجارب على مجموعة من العاملات في مصنع ويسترن ألكتريك بمدينة شيغاكو في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الممتدة بين 1924-1932لمعرفة مدى تأثير الحوافز المادية على الإنتاجية ، و صممت هذه التجارب بغرض الكشف عن علاقة الإضاءة بالكفاية الصناعية و في التجربة الأولى زيادة مستوى الإضاءة بدرجات بطيئة في ثلاثة أقسام تؤدي مهاما مختلفة فكانت واحدة ضابطة و المجموعة الثانية تجريبية و لقد جعلت المجموعة الضابطة في المرحلة الأخيرة تعمل في ظل إضاءة ثابتة بينما المجموعة التجريبية عملت في ظل إضاءة متغيرة و قامت مجموعة البحث بمراقبة مستوى الإنتاجية في كل مجموعة " و لقد دلت نتائج التجربة الأولى على عدم وجود تأثير واضح للظروف المادية على الإنتاج مع حدوث تغيرات واضحة في توجهات العاملات نحو عملهن و نحو المشرف عليه لق تم خلال هذه التجربة إكتشاف عامل أخطر و أهم من الظروف المادية

[1]- محمد قاسم القريوتي ، **نظرية المنظمة و التنظيم** ، دار وائل ، الأردن ، 2008 ، ص68

ألا و هو الحالة النفسية و المعنوية التي يكون عليها الفرد في العمل "[1] و يتضح من هذه التجارب أن الإضاءة تؤثر تأثيرا ضئيلا في الإنتاج ، و أن الزيادة الملحوظة في هذا افنتاج أثناء التجارب لابد انها تعود إلى أن عامل أخر لم يؤخذ حسابه و تحدد هذا العامل بتأثير عملية البحث نفسها أو ما أطلق عليه تأثير هاوثورن وفقا لهذا التفسير فإن العمال تعرضوا لبرنامج تجريبي و أن الإهتمام الشخصي الذي نالوه مع البرنامج كان له تأثيره في تغيير حالة اللامبلاة و المسافة الإجتماعية في علاقاتهم الطبيعية مع الإدارة و توصيلهم إلى حالة دفعتهم إلى العمل الجاد و بالتالي زاد الإنتاج بغض النظر عن مقدار التحسن في ظروف العمل المادية التي أحدثتها التجارب

ثانيا : تجارب شبكة الأسلاك

قامت مجموعة البحث بإجراء هذه التجربة لمعرفة العلاقة بين الأجور و إنتاجية العامل أي إكتشاف معامل الإرتباط الذي يربط بين الحوافز المادية بالإنتاجية هو تحديد مدى تأثير مقدر الجور على كمية الإنتاج ، حيث قاموا بعزل العاملات لتطبيق النظام الجديد عليهن و كانت الفرضية الخاصة بالدراسة ، إذا كان للحوافز المادية الحافز الوحيد للأفراد " فإنهم يتسابقون فيما بينهم لتحقيق أي معدل إنتاج و بالتالي تحقيق أعلى دخل نقدي فردي و ما حدث في التجربة الأولى أن النتيجة كانت غير متوقعة حيث وجد الباحثون أن مجموعة العمال إتفقوا على مستوى معين من الإنتاج و من يقلل من إنتاجيته عن هذا المستوى يخضع لضغوط من زملائه و من خلال هذه التجربة تبين أن جماعات العمل تخضع لضغوط إجتماعية ذات تأثير فعال على سلوكهم [2] و منه فإن الجماعة التي ينتمي إليها العامل هي من تحدد معايير و قواعد التعامل داخل المجموعة و تكون ملزمة للإفراد فيما بينهم كما أن هناك تبادل للأدوار بين أفراد الجماعة الغير الرسمية و يلاحظ ان التنظيم الإجتماعي الداخلي لحجرة شبكة الأسلاك كان أكثر إحكاما أثناء فترة التجربة و لم يقتصر ألمر على أن المجموعة إستطاعت تطوير معاييرها الخاصة بها و تتحدد على إستقرار

[1] - محمد إسماعيل قباري ، **علم الإجتماع و مشكلات التنظيم في المؤسسات البيروقراطية** ، منشأة المعارف ، الأردن ، 1981 ، 404

[2] - عبد الله محمد عبد الرحمن ، **علم إجتماع التنظيم** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 ، ص112

إفنتاج عند المستوى المرغوب فيه و تحافظ على التضامن ضد المشرفين و الغراب بل إن هذه المجموعة إنقسمت إلى زمرتين تتفوق إحداهما على الأخرى و لكل منها نمط من التفاعل الداخلي الخاص بها .

ثالثا : برنامج المقابلات

إنبثق برنامج المقابلات في شركة ويسترن إليكتريك عن برنامج تدريبي للمشرفين كشف عن نقص المعلومات حول الروح المعنوية كما إنبثق أيضا عن إكتشاف وجود علاقة بين الإشراف و الروح المعنوية في حجرة الإختبار و كان برنامج المقابلات يتألف من مرحلتين : **الأولى** : دراسة إستطلاعية أجريت في أحد فروع الشركة من سبتمبر 1928 إلى فبراير 1929 و **الثانية** : برنامج متصل شمل حوالي 20 ألف مقابلة مع العاملين في الشركة في في عامي 1929 و 1930 و قد توقف البرنامج عام 1931 نظرا لحدوث إنخفاض مماثل في النشاط الإنتاجي مما أدى إلى تعثر التجارب الأخرى بيد أن البرنامج عاد مرة ثانية عام 1936 ليصبح من الملامح الدائمة للإدارة العمالية في مصانع هاوثورن تحت مسمى الإرشاد العمالي .

في بداية البرنامج أعد الباحثون القائمون ببرنامج المقابلة قائمة بالموضوعات التي إعتقدوا أنها ترتبط بالروح المعنوية مثل التدفئة ، التهوية ، التخزين ، حوادث العمل ، و المزايا الإضافية و فرص الترقية و قد واجه القائمون بالمقابلة صعوبات في إلزام المبحوثين بهذه الموضوعات و جاءت النتائج أكثر إثارة عندما سارت المقابلة على طبيعتها دون الإلتزام بالموضوعات المحددة و بعد عدة مناقشات إتبع الباحثون أسلوبا جديدا للمقابلة أطلقوا عليه الأسلوب غير المباشر أو ما يطلق عليه الان المقابلة غير الموجهة فقد ترك للمبحوث الحرية في إختيار المواضيع و ترتب على تغيير أسلوب المقابلة إطالة وقت المقابلة بين 30 دقيقة إلى 90 دقيقة كما زاد متوسط عدد صفحات تقرير المقابلة من حوالي أربعة صفحات إلى حوالي عشر صفحات ، و تتلخص النتيجة الأساسية لهذا التحليل الشامل في أن مناخ العمل الذي يعمل فيه العمال الصناعيون ذا أهمية إجتماعية و حتى يتسنى فهم شكاوي

العمال و كذا مصادر رضاهم ينبغي أن يؤخذ في الإعتبار أربعة ظواهر مختلفة : التنظيم الإجتماعي الذي يتم العمل في إطاره و الأحداث و الأشياء و الأشخاص الموجدون في بيئة الامل ، ووضع العامل داخل التنظيم ، و الأنساق الإجتماعية الخارجية التي تحيط بعمله .

المطلب الثاني: تجربة ملاحظة السلوك الإجتماعي

قام الفريق و للتأكد من المعلومات التي جمعت عن طريق المقابلات بملاحظة سلوك العاملين أثناء العمل و سجل ملاحظات عن أسلوب العمل ديناميكية عمل الجماعات " كان الهدف من هذه التجربة هو دراسته السلوك الجماعي و أثره على الإنتاجية و لقد كشفت التجربة عن وجود رغبة جماعة ملحة لتكوين جماعات أو تنظيمات غير رسمية "[1] و إشتملت هذه التجربة الأخيرة من تجارب هاوثورن على دراسة تفصيلية لموقف معملي من وجهة نظر علماء الإجتماع و كان الهدف من تصميم هذه التجربة الكشف عن أثار التفاعل الإجتماعي على سلوك العاملين و مع تقدم الدراسة بدأت في التركيز على عملية تقييد الإنتاج التي تمارسها جماعة الرفاق تنظيما غير رسمي و لقد أخذت مجموعة من العمال الذكور من القسم الذي يعملون فيه ، ووضعوا تحت الملاحظة في حجرة مستقلة ليستمروا في اداء نفس العمل الذي كانوا يقومون به و كان عملهم هو توصيل أسلاك خطوط لوحة مفاتيح التليفونات و تكونت هذه المجموعة من 14 عاملا و إستمرت هذه التجربة الأخيرة من 1931 إلى 1932 حيث إنتهت بإنتهاء المشروع ، و لقد ظلت أجور العمال و ساعات عملهم على حالها إذ أن نظام حوافز الأجر يضع معيارا قدره 7200 توصيلة غير أن العامل يقف 6660 توصيلة في اليوم ، و يذكر أن معظم العمال أن إنتاجهم اليومي يقترب من هذا الرقم مع ذلك يتطلب جهدا متواصلا و إنشغالا بهذه الأرقام و بإستثناء فرد أو فردين لم يندمجوا نهائيا مع الجماعة إستطاع بقية العمال أن يصلوا إلى هذا الإنتاج تقريبا و هذا يعني أن بعض العمال ينتجون أقل مما يستطعون إنتاجه بالفعل و بعضهم ينتج أكثر من ذلك و تنتج المجموعة ككل أقل مما تقدر عليه ، و يلاحظ أن التنظيم الإجتماعي الداخلي لحجرة شبكة الأسلاك كان أكثر إحكاما أثناء فترة التجربة القصيرة من التنظيم الإجتماعي الملحوظ

[1] - عادل حسن ، **إدارة الأفراد و العلاقات الإنسانية** ، مؤسسة شباب الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 ، ص418

لمجموعات أصغر من الفتيات في التجارب السابقة و لم يقتصر الأمر على أن المجموعة إستطاعت تطوير معاييرها الخاصة بها و تتحد على إستقرار الإنتاج عند المستوى المرغوب فيه و تحافظ على التضامن ضد المشرفين و الأغراب بل إن هذه المجموعة إنقسمت إلى زمرتين تتفوق إحداهما على الأخرى و لكل منهما نمط من التفاعل الداخلي الخاص بها ، و في ضوء هذه التجارب تم إكتشاف عدة أمور أهمها ، أهمية الحوافز المعنوية مثل نمط الإشراف ، العلاقات الطيبة ، على الإنتاجية بشكل يساوي ، إن لم يزد على أهمية الحوافز المادية ، كذلك فقد تم التعرف على أثر الجماعات غير الرسمية على الإنتاجية ، إذ أن هذه الجماعات أثر كبير على التحكم في مستوى الإنتاجية بالشكل الذي ترى فيه الجماعات ما يحافظ على مصلحتها ، إذ يمكن للجماعة أن تؤثر سلبا أو إيجابا على إنتاجية العاملين بما ترى فيه مصلحة للجماعة ككل ، و تمارس الجماعة ضغطا على العامل ، الكسول ليرفع إنتاجه و على الموظف المنتج بشكل كبير على المجموعة لتتماشى مع المستوى العام أو معدل الإنتاجية الذي تعتبره معقولا حتى لا تتأثر الجماعة سلبا بسبب هذا التطرف في أي من الإتجاهين ، و قد قام جورج هومانز بتحليل بارع لهذا المجتمع الصغير بعد ذلك بعدة سنوات لتوضيح كيفية حفاظ الأنساق الإجتماعية بصفة عامة على نفسها ضد الضغوط الخارجية و تحقيق التوازن الداخلي بين العواطف و النشاط بما يكفل الإمتثال لمعايير الجماعة و تناسب الثواب الإجتماعي مع الرتبة الإجتماعية و إنجاز الأهداف المشتركة .

نتائج دراسة هاوثورن :

– " دفعت تجارب هاوثورن علماء النفس في الولايات المتحدة إلى الإهتمام بدراسة العلاقات الإجتماعية بين أعضاء الجماعة فضلا عن دراسة إحتياجات الأفراد "[1]

– الحوافز المعنوية مهمة كأهمية الحوافز الإقتصادية ، و أن الإنسان يسعى لإشباع حاجات متعددة ، و بالتالي نبذ فكرة الإنسان الإقتصادي ، Economic man الذي لا هم له إلا السعي نحو تحقيق المنفعة الإقتصادية .

[1] - إعتماد محمد علام ، **دراسات في علم الإجتماع التطبيقي** ، المكتبة الأنجلومصرية ،ط1 ، 1994 ، ص92

– تقسيم العمل و التخصص كمبدأين تقليدين ، لا يؤديان بالضرورة إلى زيادة كفاءة المنظمة و تحسين الإنتاجية ، إذ قد يؤديان إلى عكس ذلك إذا ما وقع العامل تحت تأثير الملل .

– العامل كائن إجتماعي يخضع في مواقفه لتأثير علاقاته الإجتماعية مع العاملين ، بمعنى أن هناك تأثيرا للعلامات غير الرسمية في العمل .

و بإختصار لقد شكلت هذه التجارب تأثيرا كبيرا على نظرية التنظيم ، تقوم على إنسانية التنظيم و لفتت أنظار الباحثين و الإداريين إلى أثر القيم و الإتجاهات و نمط العلاقات على الإنتاجية و المشرفون أن يعطوها مزيدا من الإهتمام ، فقد ولى عهد النظر للتنظيم و إعتباره ألة و أنه يتعين على العاملين التكيف مع متطلباتها بشكل تلقائي بل أصبح الحديث على ضرورة إعادة تصميم الوظائف بشكل يتناسب مع رغبات و قدرات العاملين ، و منه ستظهر المدرسة السلوكية في الإدارة و التي تركز على دراسة و تحليل الأفراد و الجماعات المنظمة و التي تؤكد أن طاقة الفرد للعمل لا تتحدد طبقا لطاقته الفسيولوجية و إنما طبقا لطاقته الإجتماعية من حيث شعوره بالرضا و التفاهم القائم بينه و بين رؤساءه و زوملائه.

المبحث الخامس : دراسة يانكي سيتي :" لويد وارنر Lioyd Warner"

تمهيد :

تعتبر دراسات يانكي سيتي نتاجا مباشرا لتجارب هاوثورن التي كان لويد وارنر عضوا ضمن مجموعة البحث، و يعد وارنر عالم أنتروبولوجي حول إهتمامه من المجتمعات إلى المجتمعات الحديثة ، و كان قد ساهم في وسترن إلكتريك لدراسة علاقة مصانع هاوثورن بالمجتمع المحلي المحيط بها لكن كانت هناك صعوبة في مدينة شيكاغو ، بحكم حجم المدين الكبير و بدأ البحث عن مجتمع محلي صناعي صغير يكون فيه دراسة مشكلات عمال المصانع في إطار السياق الإجتماعي الكلي الذي يعيشون فيه ، و أراد لويد وارنر دراسة مجتمعا محليا أقل تفككا من الأحياء الصناعية بمدين شيكاغو ، أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الإجتماعية بالإستقرار النسبي و مقاومة التغيير و هذا ما جعله ينحصر فينيوإنجلند

ووقع الإختيار على مدينة New Bury Port و هي مدينة ساحلية صغيرة و كانت تضم حوالي 17 ألف نسمة وقت إجراء الدراسة و بدأت الدراسة الإمبريقية سنة 1931 إلى غاية 1935 و قد ظهرت المجلدات الضخمة و عددها خمسة في الفترة ما بين 1941 و 1959 و تغطي هذه المجلدات النمط العام للحياة الإجتماعية في يانكي سيتي و تحليلا دقيق لنسق المكانة و أوضاع جماعات عرقية في المجتمع المحلي ، الإرلنديون ، الكنديون ، الفرنسيون ، اليهود ، الإيطاليون ، الأرمن ، اليونانين ، البولندين ، الروس) The Social Life of Modern Community ، 1941 ، yale university Press .

المطلب الأول : مدخل عام لدراسة يانكي سيتي

كانت دراسة يانكي سيتي نتاجا مباشرا لتجارب هاوثورن التي مكان لويد وارنر قد شارك فيها لفترة قصيرة فهو يعد عالم أنتروبولوجيا حول إهتماماته من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة ، فقد كان الباحثون في وسترن إلكتريك قد خططوا لدراسة علاقة مصانع هاوثورن بالمجتمع المحلي المحيط بها و قد ظهرت بعض المعوقات أمام دراسة مدينة كبيرة كمدينة شيغاكو و بدأ البحث عن مجتمع محلي صناعي صغير يمكن فيه دراسة مشكلات عمال المصنع في إطار السياق الإجتماعي الكلي الذي يعيشون فيه ، و لقد رغب وارنر في ان يدرس مجتمعا محليا أقل تفككا من الأحياء الصناعية بمدينة شيغاكو أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الإجتماعية بالإستقرار النسبي و مقاومة التغيير و هذا ما جعل إختياره ينحصر في نيوإنجلند و قد وقع افختيار في النهاية على نيوبري بورت new bury port في مدينة ساحلية صغيرة لها تاريخ طويل و متواصل و كانت تضم حوالي 17 ألف نسمة في فترة إجراء الدراسة ، و قد بدا العمل الميداني عام 1931 و إكتمل عام 1935 و خرجت نتائج المشروع في خمسة مجلدات ضخمة ظهرت في الفترة بين 1941 و 1959 وفقا لخطة البحث الأصلية و تغطي هذه المجلدات النمط العام للحياة الإجتماعية في يانكي سيتي و تحليلا دقيقا لنسق المكانة و أوضاع ثماني جماعات عرقية في المجتمع المحلي (الإيرلنديون، الكنديون ، الفرنسيون ، اليهود ، الإيطاليون ، الأرمن ، اليونانيون ، البولنديون ، الروس) و التطور المفاجئ الهام لصناعة الأحذية المحلية و الرموز السياسية و التاريخية و الدينية

في يانكي سيتي ، لقد ساعد وارنر في إعداد هذه المجلدات مجموعة من المساعدين و المشاركين الأكفاء وواصل معظمهم أبحاث هامة فيما بعد ، كما هناك عدة أوجه تشابه في دراسة يانكي سيتي و دراسات ميدلتاون في نواحي عديدة حيث إنتقل مجموعة من الباحثين إلى المجتمع المحلي و نسعى إلى جمع معلومات غزيرة بإستخدام طرق عديدة : الملاحظة بالمشاركة ، تاريخ الحالة ، رسم الخرائط ، التعداد الإحصائي ، المقابلات ، الإستبيانات ، تاريخ الحالة ، الوثائق العامة ، الصحف ، اليوميات ، المذكرات ،حيث أن الدراسات في ميدلتاون ، تم التركيز على التغيرات الإجتماعية التي حدثت بين 1890 و 1925 ، أما يانكي سيتي فقد تمت دراسة التغير بصفة منتظمة عبر فترة زمنية أطول ، و قد ساد مشروع يانكي سيتي إهتمام بأماكن معينة و أشخاص بعينهم ، و تم ترتيب البيانات التي جمعت في يانكي سيتي حسب أسماء الأفراد ، و يتكون الجزء الرئيسي من التحليل من تعقب روابط الأفراد و علاقاتهم بإستخدام نظام الملفات (ملف لكل شخص) الذي يجمع المعلومات بشكل فردي عن كل ساكن تقريبا من سكان المدينة .

المطلب الثاني : نتائج دراسة يانكي سيتي

و يتكون النظام الطبقي في رأي وارنر من : طبقتين أو أكثر من الناس و الذين يعتقد أنهم في أوضاع عليا و دنيا وفقا لترتيب أعضاء المجتمع المحلي و يفضل الزواج داخل نفس الطبقة ، مع أن قيم المجتمع تبيح الزواج بين أفراد ينتمون إلى طبقات مختلفة ، كما أن النسق الطبقي يساعد الأطفال أن يظلوا في نفس مكانة والديهم ، يقوم المجتمع الطبقي بتوزيع الحقوق و الإمتيازات و الواجبات و الإلتزامات بدرجة غير متكافئة نسق الطبقات مفتوح بقيمة خاصة بالصعود و الهبوط على السلم الإجتماعي و هذا ما يسمى بالحراك الإجتماعي ، و توصل أن النسق الإجتماعي في يانكي سيتي يسوده نظام طبقي "[1]و يتألف النظام الطبقي من ست طبقات أو ثلاث طبقات رئيسية ، كل منها ينقسم بدوره إلى قسمين و توجد أسماء لهذه الطبقات تستند إلى أحياء المدينة (مثل شارع هيل ، و سكان شارع سايد) و تدل هذه التسميات كتعبيرات مهذبة عن التصنيفات الطبقية و الطبقات الست هي

[1] - وارنر ولنت ، **نسق المكانة في المجتمع الحديث** ، ص72

: العليا–العليا : تتألف من العائلات العريقة التي حافظ أسلافها على وضع قيادي في المدينة على مدى ثلاثة أجيال على الأقل .العليا – الدنيا : العائلات الجديدة التي يتشابه أسلوب معيشتها مع أسلوب معيشة العائلات العريقة ، و لكن أسلوب مكتسب حديثا .الوسطى– العليا : تتألف من رجال الأعمال و أصحاب المهن الفنية المتخصصة الذين يتمتعون بقدر من الإستقلالية الوسطى – الدنيا : تتألف من صغار التجار و العمال أصحاب الياقات البيضاء .الدنيا – العليا : تتألف من عمال المصانع السود الدنيا – الدنيا تتكون من ساكني ريفر بروكر يعملون بصفة غير منتظمة و يحصلون على قوت غير مضمون من العمل العرضي ، و أعمال الحفر ، وصيد البحري ، و مهن غير منتظمة ،[1]إن النسق الطبقي في يانكي سيتي يرتكز في النهاية على ملكية رأس المال و الوصول إلى الأوضاع من خلال فرص كسب المختلفة فإنه يصعب تفسير هذا النسق تفسيرا كاملا من خلال العوامل الإقتصادية وحدها ، فالأفراد في كل طبقة أكثر ثراء في المتوسط عن الأفراد في الطبقة الأدنى منها ، يظهر أن هناك فجوة زمنية – و أحيانا ما تكون فترة زمنية طويلة للغاية بين أي تغير في الوضع الإقتصادي للأسرة و التغير المقابل في مكانتها ، لدرجة أن شخص من أعضاء الطبقة العليا –العليا ، مثلا يعيشون أحيانا في مستوى مادي منخفض ، في حين يحوز الطبقة الوسطى – الدنيا دخولا مرتفعةو يبدو أن المحك الرئيسي للنسق الطبقي لا يتمثل في مقارنة الدخل المادي ، بل يتمثل في مجموعة معقدة و دقيقة و متشعبة من القواعد يتم بواسطتها إختيار أو رفض الأفراد لأنماط معينة من العلاقات ، فالعضوية التي تبدو مهمة في يانكي سيتي هي عضوية الأسرة ، والزمرة ، و الرابطة ، و الجماعة الإقتصادية ، و لكل جماعة من هذه الجماعات نمطها الطبقي الخاص بها ، فأعضاء نفس الأسرة عادة ما ينتمون إلى نفس الطبقة و أعضاء الزمرة ينتمون إلى طبقة أو طبقتين متقاربتين ، و أعضاء الرابطة ينتمون إلى تشكيلة من الطبقات تبعا لطبيعتها ، أما أعضاء الجماعة الإقتصادية فيتفاوتون تفاوتا حادا من الناحية الطبقية ،و يتوقف أي نوع من أنواع الحراك الإجتماعي الصاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشخاص من الطبقة الأعلى في

[1] -**اليانكيين** ، هم أشخاص منحدرون من المستوطنات الإنجليز الوائل في نيوإنجلند ، و هم الجماعة السائدة ، و يشكل اليانكيون من أصل محلي حوالي نصف مجموع السكان ، و هم ممثلون في جميع الطبقات الست خاصة العليا و الدنيا

إنضمام الشخص الطامح إلى مكانة أعلى ، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى تكون كل طبقة (حتى الطبقة العليا – العليا) كبيرة بدرجة تمنع أي فرد أو زمرة أن تحتكر الوصول إليها " و يدعم النسق الطبقي نفسه بفعالية واضحة و يعود ذلك إلى أن الأفراد المستائين يهاجرون إلى مكان أخر ، أما الأفراد الذين يظلون موجودين يقبلون قيم يانكي سيتي و يتوقف أي نوع من أنواع الحراك الصاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشخاص من الطبقة الأعلى في إنضمام الشخص الطامح إلى مكانة أعلى ، هذا من ناحية و من ناحية اخرى تكون كل طبقة (حتى الطبقة العليا–العليا) كبيرة بدرجة تمنع أي فرد أو زمرة أن تحتكر الوصول إليها و اي مرشح في العضوية حر في أن يبحث عن مدخل ثان إذا صعب عليه الدخول من المدخل الأول و هكذا تمضي أرامل الطبقة العليا في يانكي سيتي حياتهن في شبكة معقدة من الخدع الخطيرة و يمكن تفسير كل تجمع إجتماعي سواء من جانب الباحثين أو من خلال الأشخاص العاديين بأنه عبارة عن جولة من لعبة مستمرة من أجل إحراز نقاط المكانة [1]لقد ساهم مشروع يانكي سيتي على غرار دراسات ميدلتاون في إنتشار وجهة نظر الأمريكيين عن مجتمعهم، و إتضح أن التنوع المحلي هو أساس تجانس النظم في المجتمع الأمريكي حيث النسق الطبقي الذي نمى في نيو بري بورت كان بطبيعته سريا و غير معترف به و إنحرافا غير شرعي عن المثل الأمريكية السائدة عن الديمقراطية و المساواة بين الأشخاص و قد ساهمت هذه الدراسة من إظهار معالم هذا النسق أن يغيروا من طبيعته إلى حد ما ، و مع بداية الستينات من القرن الماضي تم التسليم على نطاق واسع بوجود نسق طبقي في الولايات المتحدة الأمريكية كما أن النسق الطبقي المؤلف من ست طبقات الذي توصل إليه وارنرفي نيو بري بورت موجود في مجتمعات أخرى في أمريكا دون حاجة للبحث عن ذلك ، لقد إهتم علماء الإجتماع بدراسة اثر المكانة و اثر تغير المكانة على سلوك الفرد ربما أكثر من إهتمامه بأي موضوع أخر من موضوعات الحياة الإجتماعية فقد إتضح على سبيل المثال – أن الرغبة في تجنب فقدان لمكانة تكون على العموم دافعا أقوى من الرغبة في إكتساب مكانة جديدة كما يبدو أن هناك ميلا عاما إلى توازن المكانات

[1] - محمد الجوهري ، **علم الإجتماع التطبيقي** ، دار المعارف ، القاهرة ، 2008 ، ص155

الإجتماعية التي يشغلها الفرد و في الأنساق الإجتماعية المختلفة التي يشارك فيها بحيث يكون هناك أنساق فيما بينها و بحيث لا يصبح الأشخاص الذين يخضعون له في نسق معين في مكانة أعلى منه في نسق أخر .

المبحث السادس: مجتمع النواصي وليام فوت وايت

المطلب الأول : مدخل عام لدراسة مجتمع النواصي

يعد ويليان فوت وايت و هو خريج جامعة هارفاد من الباحثين الأوائل الذين إكتشفوا مجتمعا غريبا و هذا بعد دراسته لمنطقة إيطالية حضرية متخلفة (كورنفيل) في بوسطن في الفترة ما بين 1937-1940 و هناك علاقة بين دراسة يانكي سيتي و دراسة وايت حيث إستفاد وايت من توجيهات وارنر من أساليب العمل الميداني ، يظهر الإختلاف بين الدراستين أن وايت قام بهذه الدراسة بمفرده (بإستثناء مساعدة محدودة من زميله و من زوجته) و إعتمد في دراسته على منهج الملاحظة بالمشاركة ، و كان سكان كورنفيل وقت إجراء الدراسة أكبر حجما إلى حد ما من سكان يانكي سيتي حيث بلغ عدد سكانها حوالي 20 ألف نسمة و لم يزعم وايت أنه يدرس النظم الإجتماعية لهذه المدينة دراسة كاملة و الحقيقة أنه أشار إشارات إلى ألأسرة ، و الكنيسة ، و المدارس ، و القطاع الرسمي من الإقتصاد المحلي و كان موضو بحثه هو العلاقة التبادلية بين الجمعيات التطوعية للشباب في كورنفيل و المقامرة المنظمة و السياسة و يصف وايت في كتابه تطور جمعيتين شارك فيهما و هما عصابة النواصي التي يطلق عليها "نورتونز و جمعية صغيرة يطلق عليها النادي الإيطالي المحلي و أعضاء نورتونز من صبية النواصي الذين لا تتعدى طموحاتهم و فرصهم المجتمع المحلي أما أعضاء النادي الإيطالي المحلي فهم جامعيون يتطلعون إلى وضع في المجتمع الأكبر " و كتاب "**مجتمع النواصي**" له طابع درامي ملحوظ منو لا يوجد مؤلف في تراث علم الإجتماع يتصف بهذه البراعة الفائقة في الوصف و الدراما و إثارة العاطفة و الشعور و قليلة تماما الأعمال الأخرى التي يمكن أن تضارعه في هذه البراعة و هذا التأثير و يعود هذا الطابع إلى مشاركة المؤلف الوجدانية للناس الذين قام بدراستهم ، و في موضع من

الكتاب يشير وايت إلى أنه تحول تقريبا من ملاحظ غير مشارك إلى مشارك غير ملاحظ و كان يشعر أنه أقرب إلى النورتونز منه إلى النادي الإيطالي المحلي (....) القسم الثاني من التقرير عبارة عن دراسة للبناء الإجتماعي لإبتزاز الأموال في كورنفيل و كان المبتزون يسيطرون على لعبة الأرقام و يتحكمون فيها و يحرصون على مهادنة الشرطة و توطيد علاقاتهم مع البناء السياسي الذي يشبع الولاء العرقي و الإحتياجات المحلية و من مميزات دراسة وايت أنها تكشف عن هذا النسق من أسفل إلى أعلى و هناك فصل طويل يحدثنا عن كيفية خضوع نادي إجتماعي و رياضي صغير لأحد المبتزين و كيفية قيان هذا النادي بدور محدود – و لكنه دور هام في إنتخابات المدينة[1] إن وضوح أسلوب وايت ووصفه الدقيق للأحداث و إستخدامه المستمر للإقتباس المباشر يعطي القارئ إحساسا بالمشاركة الشخصية و من السلوكيات النمطية التي توصل إليها وايت في كورنفيل أن صبية النواصي يعتنقون القيم المحلية أما الطلبة الجامعيون فإنهم يعتنقون القيم غير المحلية بمعنى أن صبية النواصي يحافظون على الفضائل الأصيلة لمجتمعهم المحيط بهم في حين نجد أن طلبة الجامعة الذين تأثروا بالأخصائيين الإجتماعيين و غيرهم من مؤسسات المجتمع الأكبر تناسوا إلتزاماتهم حيال بعضهم بعضا في سباقهم من أجل الحراك الصاعد " و يميز وايت في كل تدرج طبقي في كورنفيل نسقا من ثلاثة مستويات يتألف من صغار القوم ، و كبارهم ووسطائهم و صبية النواصي من صغار القوم أما المبتزون و الساسة فهم علية القوم أما قادة العصابات النواصي فهم الوسطاء الذين يصلون بينهم ، و يمتد هذا النمط غلى التدرج الهرمي فوق الطبيعي حيث أن العباد شأنهم شأن صغار القوم – يتخذون من القديسيين وسطاء ليشفعوا لهم عند علية القوم [2] و يكون القائد في كل الأحوال هو النقطة المحورية لبناء الجماعة ، و ممثلها أمام العالم الخارجي و القائم بدور الحكم في الداخل ، و هو الذي يبادر بأنشطتها الجمعية و تكون العلاقات الهامة تلقائية مع نائبه و ليست مع تابعييه و أعوانه و تحدث التغيرات في القيادة عن طريق حدوث تحول في العلاقات بين من يتربعون على قمة البناء و ليس بصعود من هم في الأسفل و قد يصاب القائد المخلوع و بعض من

[1] محمد محمود الجوهري ، **علم الإجتماع التطبيقي** ، مرجع سابق ذكره ، ص157

[2] - محمد محمود الجوهري ، **أسس البحث الإجتماعي** ، مرجع سابق ذكره ، ص325

أتباعه بالمرض عندما يختل توازن الجماعة ، و ربما يكون تاثير لعبة البولنج Bowling من أكثر الأشياء التي تعلق بالذهن من دراسة وايت ، إذ يعد البولنج أحد النشطة السياسية في زمرة دوك و هم يغلقون أهمية كبيرة على المهارة في ممارسة هذه اللعبة و قد افترض وايت في البداية أن مهارة الفرد في لعب البولنج تضيف إلى مكانته في الجماعة و لكنه انتهى بعد ملاحة طويلة إلى أن العكس هو الصحيح إذ إن مكانة عضو الجماعة هي التي تحدد مهارته في البولنج على الاقل في تلك المناسبات التي تجمتمع فيها الجماعة كلها لمشاهدة مباراة هامة و ينخفض مستوى أداء الأعضاء ذوي المرتبة المنخفضة يفعل الضغوط الجافة و الحادة من الجماعة في حين يلقى مؤزارة بأساليب مشابهة و يصف وايت هذه الظاهرة كتجربة ذاتية له ، و في الأخير نستخلص أن المزج بين العناصر الموضوعية و الذاتية في كتاب مجتمع النواصي يجعل منا نتساءل عما يمكن أن يتوصل إليه في نفس الموقف باحث أخر لديه مزاج مختلف و تحتاج دراسة مجتمع النواصي إلى إعادتها أكثر من أي دراسة أخرى في تراث علم الإجتماع و يصعب تفسير و فهم الأسباب التي دفعت إلى عدم تكرار مثل هذه الدراسة بإستثناء دراسة مجتمع النواصي الزنوج التي قام بها إليوت ليبو .

المبحث السابع : دراسة الأزمة الأمريكية "جونار ميردال "

تمهيد :

لقد إتفق البيض طوال القرن التاسع عشر على دونية الأمركيين الأفارفة بل و إستعبادهم و أن معظم القادة و المواطنين البيض قبل الحرب الأهلية في أمريكا لم يساووا مطلقا بين حرية السود و المساواة بينهم مما أنتج تحديات جمة للأمريكيين الأفارقة في مجتمع ديمقراطي أحالهم إلى العبودية .

المطلب الأول : مدخل عام لدراسة الأزمة الأمريكية

لقد إهتم "جونار ميردال" و هو عالم متخصص في الإقتصاد الإجتماعي من أصول سويدية و له سمعته الدولية بالتنمية حيث يرى أن " التنمية تحدث بعملية نسبية دائرية تؤدي إلى تطور تراكمي ، قد تكون هذه العملية سلبية أو إيجابية لذا يدعي "ميردال" أن البلدان المتخلفة

تعيش عملية تراكمية سلبية أو ما يسمى الحلقة المفرغة للفقر و إعتماد على مجموعة التأثيرات ما يمكن أن تتطور العملية التراكمية إلى الأعلى كما هو الحال في المناطق الغنية أو إلى الأسفل كما هو الحال في المناطق الفقيرة [1] كما إهتم بدراسة وضعية الزنوج ، حيث ركزت الدراسة على المشكلات الإجتماعية و الإقتصادية التي واجهت الأمركيين من أصل إفريقي بين عام 1938 و 1940 حيث قدم نظرية حول النسبية التراكمية و التي تعني أن الفقر يخلق الفقر و أن سياسة الحد الأدنى للأجور جعلت أصحاب العمل أقل إستعداد لتوظيف أشخاص غيرة مهرة و كان الكثير منهم من أصل إفريقي و بالتالي ركزت على المشكلات الإجتماعية و الإقتصادية التي واجهت الأمريكيين السود في فترة متقدمة قبل منتصف القرن العشرين[2] .

لقد جاءت دراسة ميردال هنا لدراسة وضعية الزنوج الأمركيين بمبادرة من مؤسسة كارنيجي عام 1937 و تعد هذه الدراسة أكبر مشروع مشترك يقوم به مجموعة من العلماء الإجتماعيين في تلك الفترة حيث إشترك في هذا المشروع حوالي 150 منهم كمستشارين و خبراء و باحثين و مؤلفيين و شارك فيه العدد من السوسيولوجين البارزين في الحقل المعرفي و أجريت الدراسة الميدانية بسرعة ملحوظة و لقد ظهرت ثلاثة مجلدات عن الجوانب الإجتماعية لوضع الزنوج كما ظهرت كتب عديدة إعتمدت على بيانات هذه الدراسة

1 – مشكلة الدراسة

لقد إهتم مجال هذا البحث بتاريخ الزنوج و أصولهم و تركيبتهم و الخصائص الفيزيقية للسكان الزنوج ، و إختبارات الذكاء و إختبارات الشخصية ، و عرض لبيانات التعداد و نقدها كما إعتمدت الدراسة على الإستبيان ، و تاريخ الحالة النفسي ، و تحليل الصور النمطية و الإيديولوجيات الشائعة بين البيض عن الزنوج ، و الجريمة و التعصب و دور الزنوج في الصناعة و الزراعة و قطاع الأعمال الخاص و التعليم و الحكومة ، و تفاوت

[1]- Myrdal G , Asian drama **,an inguiry into the poverty of nation** ,allenlane , the pen gun press 1948
[2]- Myrdal ,Bok , **an American delemmar , the Negro problemand moderndemocracy ,**piscatavray transation publishers ,1994

الأجور و التشريعات المتصلة بالمسائل العرقية و غيرها من الموضوعات العديدة ، خاصة و أن مشكلة الزنوج الأمركيين هي مشكلة متأصلة في قلب الشعب الأمريكي و هنا يكمن أساس التوتر بين الإثنان و يستمر الصراع فتكمن المشكلة في الأزمة الأخلاقية للعب الأمريكي أو ما يطلق عليه بالعقيدة الأمريكية حيث يفكرون و يتصرفون تحت تأثير قوى لتعاليم أخلاقية ذات قومية و مسيحية من ناحية و بين الأحكام المهيمنة على مستويات خاصة للحياة الفردية و الجماعية و تسيطر عليه المصالح الشخصية و المحلية و الحقد الإجتماعي و الإقتصادي ة العرق و الإمتثال في المجتمع المحلي و التعصب الجماعي ضد نماذج معينة من الأفراد ، و الحقيقة أن دراسة ميردال قد حملت النذير بوقوع أحداث عديدة فقد إفترضت هذه الدراسة على سبيل المثال إستمرار هجرة الزنوج الجنوبيين إلى المدن الشمالية كما لاحظ الدور الهام الذي يقوم به رجال الشرطة البيض في أحياء الزنوج و كشفت عن المشاعر العدوانية المكبوتة التي عبر عنها المنادون بالقومية السوداء بل إنها تنبأت بأن تحسين الفرص يؤدي ببعض الزنوج غلى تفضيل العزلة الذاتية على التكامل .

2- نتائج الدراسة [1]

- في رأي ميردال أن القاسم المشترك في المشكلة العرقية الأمريكية هو رفض الأمريكيين البض بالإجماع تقريبا للإندماج مع السكان السود ن و إعتمادهم على إجراءات الفصل العنصري من أجل الحيلولة دون قيام علاقات وثيقة معهم قد تؤدي إلى التزواج .

- قد أشار ميردال إلى ما أسماه بالنظام التراتبي للتمييز العنصري من جانب البيض و هو النظام التراتبي الذي يضاد النظام التراتبي للتمييز العنصري عند السود أي الأهمية النسبية الملتصقة بالتخلص من جميع صور التمييز العنصري .

- يبدأ النظام التراتبي للتمييز العنصري عند الرجل الأبيض بتحريم التزاوج و الإتصال الجنسي بين الرجل الزنجي و المرأة البيضاء ، يلي ذلك وضع حواجز أمام قيام علاقات إجتماعية وثيقة و الفصل في الأماكن العامة ، و الحرمان من حق التصويت السياسي

[1] - محمد محمود الجوهري ،**أسس البحث الإجتماعي** ، مرجع سابق ، ص329

و المعاملة المتحيزة من جانب المؤسسات العامة و أخيرا التمييز الإقتصادي على هذا الترتيب و يبدأ النظام التراتبي للتمييز العنصري عند الزنوج بالتخلص من التمييز الإقتصادي – أصيب ميردال بصدمة عند مقارنة وضع الزنوج بوضع قطاعات سكانية أخرى محرومة من المشاركة الكلية في الإقتصاد مثل النساء و فقراء البيض و أشار إلى أن القطاعات الفقيرة من قوة العمل الأمريكية لا تتحد ضد الطبقة المسيطرة بالمعنى الماركسي و لكنها تظهر عداءها نحوها و تخضع لها

– التصاعد أو التراكم و يعد مبدأ التصاعد أو التراكم بمثابة الألية التي تبقي على الزنوج في فقرهم ، يقول ميردال : إن تعصب البيض و تحيزهم يحافظ على إبقاء الزنوج في وضع متدن من حيث مستويات المعيشة ، الصحة ، و التعليم ، و الأداب الإجتماعية ، و العادات الأخلاقية ، و هذا الوضع المتدني الذي يوجد في الزنوج يدعم بدوره تعصب البيض ضدهم و هكذا نرى أن تعصب البيض و مستويات الزنوج المتدنية يفضي كل منهما إلى الأخر و قد سلم ميردال بأن جميع عوامل الحرمان متداخلة و متشابكة ، غير أنه أكد على الصور الإقتصادية للحرمان التي يتعرض لها الزنوج و لا يزالوا معرضين لهل بحكم إهتمامه الأساسي بعلم الإقتصاد

– لقد وصف الوضع الإقتصادي للزنوج الأمريكيين بأنه وضع مرضي حيث لاحظ أنهم يمتلكون ممتلكات محدودة و أن المعدات المنزلية التي لديهم غير كافية و دخولهم منخفضة و غير منتظمة و يتركز المزارعون الزنوج في اقل القطاعات الزراعية إنتاجا ، كما يتركز العمال الزنوج غير الزراعيين في أدنى المهن الخدمية و الصناعية و أقلها أجرا ، و ترتفع البطالة بين الزنوج بنسبة أعلى بكثير من معدلها العام في المجتمع ، كما أن ظهور النزعة النقابية في الثلاثينات أصابتهم بالضرر بدلا من أن تؤدي إلى تحسن وضعهم نسبيا . و كان ميردال يؤمن إيمانا قويا بأن العلم الإجتماعي المتحرر من القيم أمر مشكوك فيه و بأن العالم الإجتماعي لا يلتزم بموضوعية تامة تجاه قرائه بل يلتزم بتعبير صريح عن مقدمات

مشبعة بالأحكام القيمية عندما يتطرق إلى موضوع ما و تبدو المقدمة المشبعة بالأحكام القيمية لكتاب ألأزمة الأمريكية في غاية الوضوح .

و منه نستخلص أنه توجد مصادر عديدة وراء التطور المذهل للبحث السوسيولوجي الإجتماعي التطبيقي لرواد مدرسة شيغاكو الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى و في كل دولة من دول العالم تقريبا بعد الحرب العالمية الثانية و تشمل المصادر الأولى علم الحساب السياسي (و هو نوع من أنواع علم الإجتماع الوصفي) الذي إنتعش في غنجلترا في القرن السابع عشر بتشجيع من الجمعية الملكية و المسوح الإجتماعية – الإقتصادية التي أجرتها الجهات الرسمية في فرنسا في ظل نظام الحكم القديم و بدء إجراء التعددات القومية و المحلية بعد منتصف القرن الثامن عشر كما صاغ أدولف كيتيليه (1796–1874) مفهوم الفيزياء الإجتماعية و من المؤثرات الأخرى نجد المسوح الهامة في القرن التاسع عشر ، فمعظم الدراسات التي تناولها الباحث تمثل الكلاسيكيات الحديثة في علم الإجتماع التطبيق فإنها لم تجر بواسطة علماء الإجتماع :إذ قدم علماء النتروبولوجيا و علماء النفس و الباحثون الهواة إسهامات هامة و لا تختلف العلوم الإجتماعية فيما بينها إختلافا فادحا من حيث إهتماماتها و لا يزال الوصف الأنتروبولوجي للمجتمعات البسيطة يوفر بيانات للتحصيل في علم الإجتماع كما يتم تبادل لبيانات بين علم النفس و علم الإجتماع بصفة مستمرة و لا يمكن في الحقيقة وضع حد فاصل بين البحوث السياسية و بحوث علم الإجتماع ، و الدراسات المقدمة مختصرة بدرجة لا تعطي هذه المشروعات البحثية حقها و يمكن أن تعد مدخلا إليها إذ ينبغي تعلم تاريخ البحوث – مثل تاريخ النظرية – من المصادر الأصلية لإسهامها الهام للمعرفة في علم الإجتماع على الرغم من النقد الموجهة إليها و سيتجه علم الإجتماع في نحو دراسات أكثر تخصصا و سوف يتوقف عالم اللإجتماع الخوض في جميع الموضوعات الإجتماعية و في أواخر الخمسينيات وجد هذا التيار المتدفق لنتائج البحوث في علم الإجتماع في مجلتين او ثلاث مجلات تحتل الأن موقعها في مقدمة الدوريات المتخصصة

المحور الثالث: إسهامات مدرسة شيغاكو الثانية

في نهاية الخمسينات كانت السوسيولوجيا الأمريكية تحت نهجين فمن جهة أولى النظرية البنوية –الوظيفية لتالكوت بارسونز و من جهة أخرى السوسيولوجيا التكميمية و الإحصائية لبول لازار سفيلد ، و بشكل جزئي و كرد فعل على هذه الهيمنة المزدوجة ستبعث مدرسة شيغاكو ثانية فتحت " التفاعلية الرمزية " و هو تعبير صاغه عام 1937 هربرت بلومر blumer و التي جرت العادة على دعوتها مدرسة شيغاكو الثانية ، فطورت طريقة جديدة بالكامل في التفكير بالمجتمع و تحليله إنطلاقا مع أعمال هوارد بيكر و ستراوس و إرفينغ غوفمان و ستقدم العديد من الإضافات عكس النزعة الوظيفية .

المبحث الأول : دراسة ثقافة الفقر " لويس أوسكار "

تمهيد

يعرف الباحثون المهتمون بقضايا الفقر أن هناك نوعين من الفقر أساسين هما : الفقر المطلق والفقر الذاتي ، النوع الأول مرتبط بالدخل ويقاس بخطى الفقر الأدنى والأعلى والنوع الثاني مرتبط بتقدير الفقراء لأنفسهم من خلال المنظور الأدنى لمستوى المعيشة والمرتبط بمدى القدرة على توفير متطلبات الحياة اليومية ويرى الباحثون أن الشخص الفقير هو الشخص الذي يشعر بالحرمان من إشباع الحاجات الأساسية أو الحصول عليها بصورة ميسرة وتتضمن تلك الحاجات الغذاء ، المسكن ، المأوى ، التعليم ، لقد تبنى مفهوم ثقافة الفقر العالم الأنتروبولوجي أوسكار لويس في الستينات من القرن الماضي بإعتبرها طبقة إجتماعية ذات خصوصية إقتصادية و ثقافية و ما أثار إنتبهاه من خلال ملاحاظاته العميقة للمجتمعات الفقيرة بأمريكا الوسطى و الجنوبية ، و بالأخص في منطقة بورتوريكو بالمكسيك ، لقد قام لويس أوسكار من خلال رواية الحياة الموسومة بـ " أطفال سانشير " صورة و طريقة بيوغرافية في الأنتروبوبوجيا أطلق عليها إسم " الإيثنوبيوغرافيا " و قد لإستخلص من خلال هذه الرواية فيما يتعلق بأهمية روايات الحياة الذاتية فالجمهور القارئ يستمتع بقراءة روايات الحياة و السيرة

المطلب الأول : ثقافة الفقر

أولا : مفهوم ثقافة الفقر

عرفت المجتمعات البشرية كافة أنواع الفقر في حقب زمنية مختلفة و أصبح الفقر أكثر المشكلات الإجتماعية و السياسية و الإقتصادية التي تؤرق المجتمعات حاليا و أن خمس الدخل العالمي يذهب للفقراء فهناك فرق بين معنى الفقر ثقافة الفقر فالفقر يعني ببساطة الحرمان و الحاجة أو العوز الذي ينتج عنه عدم إشباع الحاجات الأساسية للإنسان من طعام و مأوى و ملبس ، أما مفهوم " ثقافة الفقر فلا يتضمن معنى الحرمان المادي أو المعنوي من إمتلاك الأشياء أو المقومات و لكنه يعني أسلوب الفقراء في العيش في الحياة ، هذا الأسلوب الذي يتوارثه الخلف عن السلف عن طريق الأسرة التي تعيش في نطاق جماعات من الأفراد ذات مستويات معيشية دنيا ، فالفقر ظاهرة معقدة و لا ترتبط بالجانب المادي فقط بل لها جوانبها النفسية المدمرة و المرتبطة بإهتزاز الشخصية و التي هي مزيج من الشعور بالهشاشة و بالتهديد و بالصدمات و الضغوطات الحياتية كذلك الشعور الدائم بالعدمية و التسليم بالظروف الحالية و إعتبرها قاهرة و تدني مستوى الطموح و الدافعية و عدم القدرة على مواجهة ظروف الحياة [1]

و يرى أن ثقافة الفقر هي ثقافة فرعية تظهر نتيجة لقوة ضغوط تلك التغيرات الإجتماعية

والتكنولوجية التي تقع في نطاق المجتمع ويتصف بها أولئك الذين نشئوا في عالم الطبقات و التي يشترك مع ثقافة المجتمع الأكبر فإنها تعيش في نطاق حامليها دون أن يشعروا بذلك و ليست ثقافة الفقر مجرد تكيف لمجموعة من الظروف الموضوعية للمجتمع الأكبر لأنه ما إن تظهر هده الثقافة إلى حيز الوجود حتى تميل إلى إدامة نفسها و الإنتقال من جيل إلى جيل بسبب تأثيرها في الأطفال ، و مع مرور الوقت يصبح أطفال الأكواخ البالغين من العمر السادسة أو السابعة مستوعبين القيم و المواقف الأساسية لثقافتهم الفرعية و مغير معدين نفسيا للإستفادة الكلية من الظروف المتعثرة أو الفرص التي تتاح لهم في حياته

[1] - التير مصطفى عمر ، **مسيرة تحديث المجتمع الليبي** ، معهد الإنماء العربي للدراسات الإجتماعية ، بيروت ، 1992 ، ص36

و تعتبر ثقافة الفقر ثقافة فرعية تترعرع في رحم لثقافة الإجتماعية الأم و لكنها ثقافة مختلفة عن ثقافة المجتمع الأكبر ، و إذا فهي تنتقل من جيل إلى جيل فتؤثر على الأطفال حيث يتعلمون منذ الصغر القيم و الإتجاهات الأساسية لثقافتهم فلا يستفدون من الفرص التي تظهر في حياتهم فيقاوم الفقراء القابعون تحت ثقافة الفقر التغيير في ثقافتهم بسبب القيم التي يعتقدونها و بسبب نظرة المجتمع إليهم و قد أشار لويس أوسكار سنة 1961 بدور ثقافة الفقر في إرساء دعائم الفقر عندما طرح دور هذه الثقافة في تفسيره لظاهرة الفقر ففي رأي لويس أن الفقر ليس نتيجة لنواحي القصور و العجز الفردية بل هو محصلة لبيئة إجتماعية ثقافية واسعة تجري فيها التنشئة الإجتماعية للأطفال و تنتقل ثقافة الفقر عبر الأجيال لأن الأطفال يدركون في سن مبكرة ، أنه لا معنى للطموح أو التطلح إلى حياة أفضل و يستعيضون عن ذلك بالإستسلام و التواكل و الرضا بأوضاع الفقر و العوز ، لقد ميز أوسكار لويس بين الفقر و ثقافة الفقر فهو ينظر إلى الفقر لا بإعتباره حالة إقتصادية و إنما كثقافة فرعية و قد وضع تعريفا لمفهوم ثقافة الفقر مؤداه أن ثقافة الفقر هي طريق للحياة يتوارثها كل جيل من الجيل السابق عن طريق عمليات التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة و في ضوء هذا المفهوم فإن الفقر لا يعتبر فقط حالة من الحرمان الإقتصادي أو مظهرا من مظاهر التفكك أو عدم توافر بعض الثقافة المادية و إنما يتضمن جوانب إيجابية تساعد الفقير على التكيف في ظروف الحرمان الإقتصادي و عليه " فتشكل ثقافة الفقر أسلوب حياة الفقراء حيث يميلون إلى العزلة و عدم المشاركة التطوعية و إتخاذ موقف من السلطة بجانب الشعور بالدونية و هنا يرتبط الفقر بالمحددات البنائية و رأس المال الإجتماعي "[1]

ثانيا: خصائص ثقافة الفقر

لقد حدد لويس أوسكار مؤشرات ثقافة الفقر الإجتماعي في" إنتشار الأوبئة ، عدم المشاركة في المنظمات الثقافية و السياسية ، إنخفاض الأجور ، البطالة ، إرتفاع معدلات التزاحم في المسكن ، إنخفاض المستوى التعليمي و المهني ، غياب المشاركة في برامج الخدمة

[1]- عبد الله نادية جبر ، **الفقر و طرق قياسه ، الإتجهات النظرية و المنهجية (دراسة في علم إجتماع الحياة اليومية)** ، دار فرجة للنشر ن مصر ، 2004 ، ص135

الإجتماعية ، وجود مستوى أدنى من التنظيم ، وجود جماعات مؤقتة أما مؤشرات الفقر الفردية فقد حددها أوسكار في الشعور بالبؤس ، الهامشية ، الشعور بالإنطواء ، الإستسلام ، أو القدرية ، إرتفاع معدلات الوفاة ، الإظطرابات النفسية ، الشعور بالطبقية و التمايز ، عدم الإستجابة للضبط الإجتماعي ، غياب الوعي الطبقي[21] و يشعر الفرد الذي يعيش في أسرة فقيرة تكرس التخلف عبر أسلوبها الحياتي و المعيشي اليومي باليأس و القنوط و الإحباط و الإنحطاط و بأنه عاجز عن تحقيق أي هدف أو نجاح في ضوء القيم التي تسود أسرته تكون محصلة هذا الشعور السلبي نحو الحياة و الأمال و الأهداف فقدان إحترام الذات و النظر إليها نظرة سلبية و الشعور بالذنب و الدونية و إتهامه بالعجز و القصور ، على هذا النحو تتشكل و تتكون ثقافة الفقر بين أبناء الطبقة المسحوقة إجتماعيا يتبع أبناء الطبقة الإجتماعية أسلوبا ثقافيا لحل مشكلاتهم الحياتية و هو أسلوب يختلف عن ذلك الذي يتبعه أبناء الطبقة الوسطى في تسيير أمورهم الحياتية ، و يحل أفراد الطبقة الفقيرة مشكلاتهم بالمهارات التي يتعلمونها من بيئتهم التي يعيشون فيها أي وفق ثقافة الأحياء المتخلفة التي يتفاعلون معها ، حيث إن ثقافة مثل هذه الأحياء تناسب الوضع الذي يعيشون فيه ، لقد قدم لويس سبعين خاصية أو سمة تظهر في وجود ثقافة الفقر " و التي أوضح أنها ليست سمات مشتركة بين سائر الطبقات الدنيا فلدى الناس في ثقافة الفقر شعور قوي بالهامشية أو التهميش و العجز المكتسب و التواكل و عدم الإنتماء و القدرية و هم بمثابة غرباء في بلدهم و مقتنعون بأن المؤسسات القائمة لا تخدم إهتماماتهم و حاجاتهم ، و هذا الشعور بالضعف أو فقدان القوة يرتبط بشعور أخر أكثر عمقا و هو الشعور بالدونية و الشعور بقلة القيمة الشخصية (...) لدى الناس في إطار ثقافة الفقر شعور و حس ضئيل بالتاريخ فهم أناس مهمشون و لا يعرفون سوى مشكلاتهم و ظروفهم المحلية الخاصة و حيهم الخاص و أسلوبهم الخاص في الحياة و هم في العادة لا يمتلكون معرفة أو رؤية أو عقيدة ليروا أوجه لتطابق بين مشكلاتهم و بين مشكلات الذين يشباهونهم في أماكن أخرى من العالم ،

[1] - مقاوسي صليحة ، **الفقر الحضري أسبابه و أنماطه** ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة قسنطينة ، 2008 ، ص36

[2]

و بمعنى أخر ليس لديهم وعي طبقي على الرغم من أنهم حساسون جدل بالإمتيازات التي تحظى بها الطبقة [1] و يتميز الفقراء بثقافة تحول دون مشاركتهم في ثقافة الطبقة المتوسطة كما يرتبط الوضع المتدني للفقراء بوضعهم في البناء الإجتماعي حيث يحتلون أسفل المراتب في السلم الإجتماعي و لا يمتلكون مقومات صعود تؤهلهم لممارسة مهنة ذات دخل رفيع ، و هو ما يؤدي إلى إتساع الهوة بينهم و بين الطبقة الوسطى و الغنية فيؤمن الفقراء بهذا الوضع الطبقي المتدني و يستسلمون له فإنهم عادة ما يحققون نظاما من العيش يمكنهم من التعامل مع وضعهم البائس حيث يحرصون على تلبية حاجاتهم الأساسية فقط و تساهم أساليب التنشئة الإجتماعية لدى الفقراء في ترسخ ثقافة الفقر فتساهم هذه الأساليب على " تخليد الأنماط الثقافية للجماعة و ينشأ عنها ظروف سيكولوجية عند الفرد لا تساعده على التخلص من الفقر و كذلك إستمرار و بقاء الوضع السيء للفقراء نتيجة سلوك الطبقة العليا نحة حرمانهم من إعادة توزيع المصادر و إهتمام أعضاء الطبقة العليا برغباتهم فقط "[2]

المطلب الثاني : دراسة ثقافة الفقر "أوسكار لويس "

هناك عدد قليل من الإسهامات الأنتروبولوجية لدراسة موضوع الفقر ، ويعتبر لويس اوسكار أول من أطلق مصطلح ثقافة الفقر la culture dela pauvreté سنة 1961 وكان من المهتمين بهذه القضايا ، حيث قام في بداية الأمر بدراسة الفقراء عن طريق المشاركة في الأحياء الفقيرة المختلفة في مكسيكو ، ثم بورتوريكو ، بعدها قام بدراسة أحوال و الحياة الإجتماعية لأبناء بورتوريكو المقيمين في مدينة نيويورك ، تناول في كتابه الأول " الحياة اليومية لخمسة أسر في مدينة مكسيكو " سنة 1959 ،حيث تعرض بالتفصيل إلى الأنشطة الجماعية والعلاقات التفاعلية و الأنشطة الفردية خارج البيت ، وكانت هذه الأسر الخمسة تختلف عن بعضها البعض إلى حد ما في درجة الفقر و في الخلفيةالإجتماعية [3] ثم تطورت أفكار ثقافة الفقر في مؤلف أخر بشكل كامل تحت عنوان " أطفال سانشيز " سنة

[1]- Lewis Oscar ,(19966-1996) July 1998 **, The Culture of Poverty** ,Society , p35

[2] - رشوان حسين عبد الحميد أحمد ، **الفقر و المجتمع دراسة في علم الإجتماع** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2007 ، ص31

[3] - محمد الجوهري و ليلى شكري ، **علم الإجتماع الريفي والحضري** ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر 1983 ، ص26

1961 أي تناول بالتفصيل إحدى خمسة أسر منالمكطسيك تعيش في مدينو نيويورك ، عبر فترةمن الزمن وظهر لويس أوسكار ثقافة الفقر كثقافة فرعية نتيجة للحرمان الإقتصادي .

لقد إتبع لويس أوسكار في دراسته المنهج الأنتروبوجي و إعتمد من خلال أداة جمع المعطيات الملاحظة بالمشاركة و إقامة علاقة وثيقة مع الأسر المبحوثة وتسجيل المناقشات التي تتم بين أفراد الأسرة بواسطة جهاز التسجيل مع رصد تقارير عن حياتهم الشخصية و الإجتماعية و ابرز الأحداث بين أفراد الأسرة وكذا المقابلات اليومية ، " نجد في تفسير لوبس أوسكار لخصائص ثقافة الفقر في الأحياء المختلفة و المتمثل فغياب الوعي الطبقي و إنتشار درجة الحساسية نحو تمايز المراكز و إذا أمكن للفقر و إدراكهم لأوضاعهم الإجتماعية و إندماجهم في الحركات السياسية المجتمعية و بهذا أظهر لويس فئة من فئات المجتمع و المتمثلة في الفئات الدنيا التي تعيش الفقر و إرتباطها الوثيق بالجانب السكني و المتمثل في الأحياء المختلفة و مالها من ظواهر سلبية على هذه الفئات المهمشة إجتماعيا و إقتصاديا [1] و تمثل الأحياء الفقيرة المكان الذي يأوي إليه الفقراء و الأحداث للنوم ليلا و هي أحياء تتكون غالبا من أزقة ضيقة و من مبان ألية للسقوط و الأحياء المتخلفة التي إهتم بدراستها هي المكان الذي يتجه إليه الفقراء لعوزهم و عجزهم عن السكن في بيوت مناسبة و منه فإن الفقر وحده لا يصنع المنطقة المتخلفة بل لابد من توافر عوامل اخرى مثل سوء التغذية و المرض و الجهل و الجريمة و الإنحراف و إفتقار الأشخاص للأمل و الطموح و الشعور بالدونية و اليأس و الإحباط و غياب الأمن و إنتشار الرذيلة و كافة الإنحرافات و إنعدام الأخلاق كما يتسم الأطفال الذين يعيشون في هذه بيوت التي تنعدم فيها المواصفات من سوء التغذية و قلة الرعاية الصحية بالعزلة الإجتماعية و النفسية ووجود تعارض بين سلوكهم الظاهري و ما ينبغي عليهم ممارسته من أنماط السلوك المثالي دراسة ثقافة الفقر ترتبط بالفئات الإجتماعية الدنيا المتواجدة في أطراف المدينة و قرب قنوات الرف الصحي فهي ترتبط بسكان الأحياء الفقيرة التي تستعين في نموها بالهجرة الريفية الحضرية للمدينة .

[1] -- أسماعيل قيرة ، عبد الحميد ديلمي ، **التصورات الإجتماعية و معاناة الفئات الدنيا** ، مخبر الإنسان و المدينة ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2003 ، ص146

المطلب الثالث : نتائج دراسة ثقافة الفقر

من خلال الدراسة التي قام بها لويس أوسكار توصل إلى نتائج تبرز ثقافة الفقر وهي :

– الأطفال الذين ينشأون في مناطق فقيرة غرست فيهم قيم نابعة من الحرمان و الفقر ولا يستطيعون العيش في مناطق أخرى مغايرة لقيم الفقر و المرأة في ثقافة الفقر تمثل مركز الأسرة النووية التي تقوم بكافة المسؤليات الأسرية داخل الأسرة ، و المسؤوليات الإقتصادية خارج الأسرة ، في حين تكون مسؤولية الرجل هامشية .

– تتصف الأسرة الفقيرة بدخل منخفض ومعدل عال من البطالة ، و هذا ما يؤدي إلى كثرة المشكلات الإجتماعية و النفسية داخل الأسرة و عدم قدرة أفراد الأسرة على السيطرة على إنفعالاتهم و غضبهم ، مما يزيد من المشاحنات والنزاعات الأسرية بل يضعف العلاقة بينهم[1]

– أن ثقافة الفقر تضم أفراد ذوي معدلات وفاة عالية نسبيا ، ومتوسط عمر قصير و مستوى منخفض من التعليم وكثرة الأبناء و مشاركة ضعيفة للفقراء في أنشطة المجتمع المدني كالنقابات العمالية والأحزاب السياسية الجمعيات الخيرية و عدم المشاركة في برامج الرعاية الطبية

– إنخفاض مستوى المهارة عدم وجود مدخرات مالية أو كثرة القروض ، بالإضافة إلى الإفتقار للخصوصية وكثرة اللجوء إلى العنف والزواج في غالب الأحيان يرفضون تسجيل أبناءهم، وكثرة هجر الزوج للزوجة وتتمركز الأسرة حول الأم .

– و الأسرة الفقيرة تعاني من التحلل من كل ما هو مقبول إجتماعيا إلى فقرها الشديد و عزلتها الإيكولوجية و شعور أفرادها باللامبالاة و لتدني أجورهم و معاناتهم من البطالة و تدني مستواهم التعليمي و تخلفهم المهني مما يجعلهم يعانون من تدني في مستوى دخلهم و

[1] - معن خليل ، **المشكلات الإجتماعية** ، دار الشروق ، ط1 ،بيروت ، 1987 ، ص213

نقص ملكيتهم الشخصية و إنعدام المدخرات المالية " و يستجيب أعضاء الأسرة الفقيرة لهذه الظروف الإقتصادية برهن ممتلكاتهم الشخصية و إقتراض النقود من المرابين و إنشاء جمعيات محلية مع الجيران لمواجهة الأزمات الإقتصادية الطارئة و إستخدام الأثاث و الملابس المستعملة و تقبل الهبات و شيوع نمط شراء كميات صغيرة من الطعام .

و أخيرا فإنه عندما تنتشر ثقافة الفقر و تتغلغل في أي مجتمع فإنه يصعب القضاء عليها بمعنى أنه يمكن القضاء على الفقر أسهل من القضاء على ثقافة الفقر على حد تعبير أوسكار لويس ، هذا لأن ثقافة الفقر ليست حرمانا إقتصاديا فقط و غنما وسيلة تقوم الحكومات من خلالها بإيجاد تنظيمات و قوانين تفرض على الفقراء الإستمرار في الحياة بواسطتها أو من خلالها و تنتشر ثقافة الفقر في تلك المجتمعات التي تتسم عادة بإنخفاض مستوى الأجور ، ووجود العمالة الغير ماهرة ، و إنتشار العمل المأجور ووجود إنتاج من أجل الأرباح و إرتفاع نسبة البطالة ووجود الطبقة الغنية التي تحرص على زيادة و تراكم ثروتها ، فثقافة الفقر هي طريقة للحياة و ليست إفتقار للموارد الإقتصادية و عندما يعتاد الفقير على العيش وفق خصائص ثقافة الفقر فإن هذه الثقافة تصبح بالنسبة له بمثابة طريق للتكيف مع مجموعة الظروف الموضوعية في المجتمع فهي تكيف ورد فعل للفقراء على مكانتهم الهامشية في مجتمع طبقي رأسمالي .

المبحث الثاني : دراسة إختيار الشعب " بول لازار سفيلد "

تمهيد :

كان الإعتقاد الراسخ أن لوسائل الإعلام و الإتصال الجماهيري الموجهة للأفراد المنعزلين و المتصلين بهذه الوسائل مباشرة خاصة و أنها إقترنت بالسياسة عن الطريقة التي تسيطر بها الوسائل على سلوك الجماهير و كيفية توجههم إلى تبني بعض الإتجاهات أو إتخاذ القرارات لبعض البرامج و القضايا التي تحتاج إلى مشاركتهم السياسية حيث تؤكد "جوديت لازار " على أن تطور الصحافة إرتبط بالبعد السياسي فالصحف تطورت و تشكلت ببطىء في المجتمعات التي تميزت أنظمتها بالقوة المركزية (فرنسا ، بريطانيا) في حين أن البلدان

التي كانت فيها السلطة المركزية ضعيفة فإن الصحافة عرفت فيها تطورات سريعة (الولايات المتحدة الأمريكية) [1] فجاء بول لازار سفيلد (1901-1976)عالم إجتماع نمساوي و أمريكي أسس مكتب البحوث الإجتماعية التطبيقية بجامعة كولومبيا و قام بدراسة إختيار الشعب في الأربعينات من القرن الماضي و لعب دورا هاما في التأثير على تقنيات و تنظيم البحوث الإجتماعية

المطلب الأول : مدخل عام لدراسة "بول لازار سفيلد"

إن تراكم التغيرات الإجتماعية و الثقافية في المجتمع إلى جانب العوامل السياسية ساعدت في تطور هذا النوع من وسائل الإعلام تلك المتعلقة بطبقة جديدة في المجتمع و هي الطبقة المتوسطة التي ظهرت بظهور الثورة الصناعية ، حيث يرى بول لازار سفيلد " أن الراديو من الوسائل التي يمكن أن تصل إلى السكان بسهولة متخطية حواجز الأمية و الحواجز الجغرافية و يستطيع أن يصل إلى جماعات خاصة مثل الأفراد كبار السن و الأطفال و الأقل تعليما و المتعلمين ، و غير ذلك من الجماعات المختلفة التي قد يصعب الوصول إليها بواسطة و سائل الإعلام الأخرى ...أصبح الراديو هو الوسيلة التي تبقيهم على علم بما يحدث و الرسالة المذاعة قد تكون أكثر فاعلية من الرسالة التي تنتقل بالإتصال المواجهي لأنه يمكن تقويتها بواسطة الموسيقى و التأثيرات الخاصة التي تترك إنطباعا قويا (...) يذهب بعض الباحثين إلى أن الراديو من الوسائل القادرة على جعل الجماهير تحس بالمساهمة و الإقتراب الشخصي [2] و يتشكل الرأي العام من خلال التأثير المباشر لوسائل الإتصال الجماهيري بإعتبار أنة " الرأي العام هو حصيلة أفكار و معتقدات و مواقف الأفراد و الجماعات إزاء شأن من الشؤون تمس النسق الإجتماعي للأفراد و تنظيمات التي يمكن أن تؤثر في تشكيلها عمليات الإتصال التي قد تؤثر نسبيا أو كليا في مجريات أمور الجماعة الإنسانية على النطاق المحلي و الدولي "[3] لكن الباحثين لم يعطوا إهتمام إلى تأثير العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع عن نتائج لم تحققها المادة الإعلامية ، لكن البحوث المنجزة في

[1]- Judith Lazar ,**Sociologie de la communication , action de mass**, Paris , Armard colin , 1991 ,p15

[2] - جيهان أحمد رشتي ، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1978 ، ص56

[3] - إسماعيل سعد ، **الإتصال و الرأي العام ، مبحث في القوة و الإيديولوجية** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1975 ، ص26

العقود الماضية أثبتت أن العلاقات المباشرة القائمة بين الأفراد المتصلون في الأسرة أو العمل قد تساعد أو تعيق الوصول لأهداف العملية الإتصالية و ما هو ما يعرف بنظرية إنتقال المعلومات على مرحلتين ، "و لقد توصل لازار مؤلف كتاب " **إختيار الشعبThepeople's Choice** إلى نتيجة مفادها أن سريان مفعول مضمون المادة الإعلامية التي تحملها وسائل الإتصال و الإعلام الجماهيرية قد لا يكون مباشرا كما كان مفترضا من قبل بل يصل أولا إلى قادة الرأي في الشريحة الإجتماعية المعنية و من ثم ينتقل عن طريقهم للأخرين "[1]، لقد أظهرت الإفتراضات الأولى للمفاهيم الخاصة بهذه المفاهيم سنة 1948 ذلك كتاب " إختيار الشعب " لبول لازارس فيلد و إقترح فيه سريان مضمون وسائل الإعلام قد لا يكون مباشرا كما يعتقد من قبل و إفترض أن تأثير وسائل الإعلام قد يصل إلى قادة الرأي الذين ينقلون بدورهم ما يتعرضون له إلى الأفراد الأخرين و أن هؤلاء الأفراد حصلوا على معظم ما لديهم من معلومات عن الحملة الإنتخابية من أناس أخرين تعرضوا مباشرة لوسائل الإعلام " و بدا البحث يصل إلى أن حركة المعلومات تسري عبر مرحلتين أساسيتين تتمثل الأولى في تعرض بعض الأشخاص لوسائل الإعلام بشكل مباشر ، و في المرحلة الثانية يبدأ نقل المعلومات عبر قنوات الإتصال الشخصي إلى أفراد لا يتعمدون على وسائل الإعلام في الحصول على المعلومات قدر إعتمادهم على الأخرين "[2]

المطلب الثاني : دراسة إختيار الشعب

لقد أحدث نجاح الرئيس الأمريكي الديمقراطي روزفلت لعهدة رئاسية جديدة صدمة كبيرة في أوساط الباحثين في نتائج الإنتخابات الرئاسية في أمريكا لعام 1940 بين ويندل ويلكي المرشح الجمهوري و الرئيس فرانكلين روزفلت المرشح الديمقراطي و التي أسفرت في النهاية إلى فوز الرئيس روزفلت في الإنتخابات الرئاسية رغم الحملة الشرسة التي شنتها وسائل الإعلام و الإتصال الجماهيري ضده رغم المعارضة من طرف هذه الوسائل له و عدائها لسياساته نجح في البقاء لفترة ثانية مما أعاد النظر في مقولة (القوة الطاغية لوسائل

[1] - منال هلال المزاهرة ، **نظريات الإتصال** ، دار المسيرة ، ط1 ، عمان ، 2012 ، 84
[2] - حمدي حسن ، **مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الإتصال** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1978 ، ص69

الإعلام) و بعد هذه النتائج أجريت العديد من الدراسات حول التأثير لوسائل الإعلام و الإتصال على السلوك الإنتخابي للناخبين و إنطلق الباحثين في تفسير تكون الرأي العام و تغيره و التعرف عن دور وسائل الإعلام و الإتصال في هذا المجال لقد قام "بول لازار سفيلد " و هو مؤسس مكتب البحوث الإجتماعية التطبيقية في جامعة كولومبيا – بإجراء بحث للكشف عن كيفية إتخاذ القرار و نشرت نتائج البحث سنة 1944 و عدد تقرير نتائج البحث عن مائتي صفحة غير أن هذا البحث كانت له نتائج بعيدة المدى على النظرية و الممارسات السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية و قد جاء مشروع بحث مقاطعة إيري نتيجة للإستخدام المكشف لإستطلاعات الرأي العام لتقدير إتجاهات الناخبين في الحملات الإنتخابية في الثلاثينات من القرن الماضي و قد ركزت الدراسة على إتجاه المبحوثين في عملية التصويت في الإنتخابات شهر نوفمبر و التغيرات التي طرأت على هذا الإتجاه من مقابلة إلى أخرى و إذا حدث تغير ما في إتجاه التصويت لدى المبحوثين ، و قد جمعت البيانات بواسطة باحثين قاموا بزياة عينة إحصائية ممثلة للسكان و حصلوا على الإجابات من خلال إستبيان مقنن و تعد من الدراسات الأكثر دقة و إحكاما مما مألوف في مسوح الرأي العام " و قام الباحثون بزيارة المنزل الرابع في كل شارع من شوارع المقاطعة لتحديد إطار معاينة مكون من 3000 ناخب تقريبا على أن يكونوا ممثلين لجملة السكان من حيث : العمر و النوع و الإقامة و التعليم و إمتلاك الهاتف و السيارة ، و الموطن الأصلي ثم إختيار أربع عينات من هذا الإطار و تتكون كل عينة من 600 مفردة تتشابه في الخصائص السابقة ووقع الإختيار على إحدى هذه العينات لتكون العينة الأساسية ، و تمت مقابلة مفرادتها مرة كل شهر من مايو إلى نوفمبر من ذلك العام ، و جرت المقابلة الأخيرة بعد إجراء الإنتخابات أما مفردات العينات الثلاث الأخرى فقد تمت مقابلتهم على فترات مختلفة و تمثل هذه العينات الثلاث مجموعات ضابطة لإختيار تأثي تكرار المقابلة على العينة الأساسية " [1] .

[1] - محمد محمود **الجوهري أسس البحث الإجتماعي** ، مرجع سابق ذكره ، ص332

1- نتائج دراسة إختيار الشعب

و تتلخص أهم ما توصل إليه الباحثون أن إختيار الأغلبية العظمى من الناخبين يمكن التنبؤ به من خلال ثلاث خصائص إجتماعية فقط هي المكانة الإجتماعية – الإقتصادية ، الإنتماء الديني ، الإقامة الريفية أو الحضرية إذ تبين المكانة المرتفعة و النزعة البروستانتية و الإقامة الريفية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الجمهوري في حين أن المكانة المنخفضة و النزعة الكاتوليكية و الإقامة الحضرية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الديمقراطي كما يتأثر الناخب بتاريخه السياسي إلى حد ما بالإضافة غلى خصائصه الإجتماعية " و قد أمكن للباحثين بإستخدام هذه العوامل وحدها أن يصمموا مقياسا للتعرف على التوجه السياسي للفرد و يفيد بالتنبؤ بالسلوك الإنتخابي بصفة عامة و قد وصل الباحثون إلى هذه النتيجة على الرغم من أن قياس هذه الخصائص الثلاث كان قيايا تقريبيا إلى حد كبير فقد إعتمد تقدير المكانة الإجتماعية – الإقتصادية مثلا التقدير الذاتي للمبحوث لمسكنه و ممتلكاته و مظهره و طريقة كلامه و لم يتم قياس الإنتماء الديني بالمواظبة على التردد على الكنيسة أو أي مقياس أخر من مقاييس المشاركة الدينية ، و يتأثر إختيار الناخب بتاريخه السياسي إلى حد ما بالإضافة إلى خصائصه الإجتماعية ، فقد إتضح على سبيل المثال أن جميع الجمهوريين الذين أعطوا أصواتهم لصالح لاندون ضد روزفلت عام 1936قد أعطوا أصواتهم لويلكي عام 1940و هناك مثال أخر هو أن معظم الناخبين الجدد ساروا على نفس التفضيلات الحزبية لوالديهم عندما أدلوا بأصواتهم للمرة الأولى ، و كان الهدف من الدراسة التعرف على الطرق التي تؤثر في تكوين الرأي العام و تغيره و التعرف على دور وسائل الإتصال الجماهيري في هذا المجال و قد أجريت الدراسة بمنطقة (إيري كاونتي) بولاية أوهايو و كان موضوع الدراسة هو تحليل خطب الحملة الرئاسية و غيرها من الرسائل السياسية التي قدمتها الصحف و المجلات ، حيث قام الباحثون بمتابعة

أراءعينة من السكان على فترات قبل و أثناء الحملة الإنتخابية و قد خرج الباحثون بالنتائج التالية :[1]

1- أن عملية تكوين الرأي الإنتخابي ليست عملية فردية و لكنها عملية جماعية و تفسير ذلك أن الناس يعيشون أوضاعا إجتماعية متقاربة عادة مصالح و مشاعر و إحتياجات مشتركة و ينعكس ذلك على إتجاههم و أرائهم ، و منها أرائهم السياسية فيما يتعلق بالشخص أو الحزب الذي يؤيدونه في الإنتخابات

2- لاحظ الباحثون أن أفراد العينة كانوا يشاركون الجماعات التي ينتمون إليها في المناقشات و الحوار و أن الإتصال الشخصي كان العامل المؤثر في تكوين رأي الناخبين و ليس وسائل الإعلام كما كان معتقدا

3- كشفت الدراسة عن وجود أفراد داخل كل جماعة يتميزن عن سواهم بكونها أكثر إتصالا بوسائل الإتصال الجماهيرية من صحف و مجلات و إذاعة و أنهم أحرص من غيرهم على متابعيها و نقل مضمونها إلى باقي أفراد الجماعة التي ينتمون إليها و أطلق على هؤلاء الأفراد **قادة الرأي.**

4- تبين من الدراسة أن غالبية أفراد العينة لا يحصلون على معلوماتهم من وسائل الإعلام مباشرة ، و إنما يحصلون عليها من خلال إتصالهم المباشر بقادة الرأي في الجماعات التي ينتمون إليها .

لقد توصل الباحثون إلا أن الإتصال الشخصي يلعب دورا مهما في تكوين و توجيه الرأي العام إلى جانب وسائل الإعلام و أن قادة الرأي يمثلون عنصرا مهما في عملية الإتصال الشخصي و يلعبون دور الوسيط و أن " الإتصال الشخصي و الإقناع المواجهي له دور أكبر في إتخاذ قرار التصويت من هنا كان الفرض الخاص بتدفق المعلومات على مرحلتين

[1] - حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، **الإتصال و نظرياته المعاصرة** ، الدار المصرية اللبنانية ، ط6 ، القاهرة ، 2006 ،ص240

و الذي ينتقل من الراديو و الصحف إلى " قادة الرأي " و من هؤلاء إلى القسم الأقل نشاطا منهم في قطاعات الشعب و سمي بعد ذلك نظرية إنتقال المعلومات على مرحلتين وضح الباحثون بأن الوسيلة لا تؤثر مباشرة على الجمهور النهائي تأثير وسيلة الإعلام يتم بواسطة قادة الرأي الذين ينوبون عن أفراد الجماعات التي ينتمون إليها "[1]

و يناقش الجزء الأخير من كتاب إختيار الشعب التجانس السياسي للجماعات الإجتماعية و يوضح كيف أن الإرتباطات التي إتضحت من قبل تقوم على إحتمال قوي مؤداه أن الناس الذسن يعملون أو يعيشون معا يعطون أصواتهم لنفس المرشح ، إما من خلال إختيار تلقائي أو بسبب ممارسة تأثير شخصي و تكون المحصلة الطبيعية للمناظرات السياسية التي تحدث خلال الحملات الإنتخابية بين الأصديقاء و الجيران و الأقارب هي تعزيز الرأي السائد داخل كل جماعة إجتماعية ، و هذا التأثير يضارع تأثير المرشح المحتمل فوزه في جمهور الناخبين بصفة عامة و يتوقع الناس أن يفوز المرشح الذي يفضلونه و يكون العكس صحيحا أيضا بمعنى أنهم يفضلون أحد المرشحين في بعض الحيان لأنهم يتوقعون فوزه ، و لا تتكرر السياسة الأمريكية على نفس المنوال مرة ثانية و قد خلص كتاب إختيار الشعب إلى أن الطرف الذي يستطيع تعبئة الجماهير لتأييده بطريقة الخبراء ترتفع فرص نجاحه ، و إن الذين يمارسون السياسة بطريقة الخبراء ينبتون كالنباتات التي يترعرع في الأرض ، و في عام 1955 قدم كل من إلياهو كاتر و بول لازار سفيلد مفاهيم عن تدفق الإتصال على مرحليتين في كتابهما " التأثير الشخصي " فقد قام الباحثان بدراسة شملت 800 إمرأة من سكان مدينة " ديكتيور" بولاية ينوي الأمريكية و إستهدفت الدراسة التعرف على التأثير النسبي لكل من الإتصال الشخصي و الإتصال عبر وسائل الإعلام على القرارات التي يتخذها أفراد العينة في موضوعات خاصة شملت التسويق ، الأزياء ، الشؤون العامة إختيار الأفلام السينمائية و شملت الدراسة كذلك بحث الفروق الجوهرية التي يتميز بها قادة الرأي في المجالات الأربعة موضوع البحث عن غيرهم ، و أشارت النتائج إلى تدعيم الدراسات

[1] -فضة عباسي بصلي محمد الفاتح حمدي ، **مدخل لعلوم الإتصال و الإعلام (الوسائل ، النماذج ، النظريات)** ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن، ، 2017 ، ص69

السابقة بالنسبة لأهمية دور الإتصال الشخصي في تكوين الرأي العام و كذلك بالنسبة لعملية سريان الإتصال على مرحلتين :

و هكذا إقترح البحث حركة للمعلومات من خلال مرحلتين أساسيتين : [1]

أولا : من وسائل الإعلام إلى أفراد ذوي إطلاع حسن نسبيا يولون عناية متكررة لوسائل الإعلام .

ثانيا : من هؤلاء الأشخاص و من خلال قنوات إتصالهم بالأخرين تنتقل المعلومات إلى أفراد لديهم تعرضوا مباشرة بصورة أقل لوسائل الإعلام و يعتمدون على أخرين في الحصول

على معلوماتهم و سميت عملية الإتصال هذه " التدفق ذو الخطويتين للإعلام " " و قد سمي من لديهم إتصال أكبر لوسائل الإعلام قادة الرأي إذ سرعان ما وجد أنهم لم يكونوا ناقلين محايدين للمعلومات بل كانوا يلعبون دورا هاما في تشكيل النوايا الإنتخابية لدى من يمررون لهم المعلومات و سرعان ما أصبح هذا الشكل من التأثير الشخصي معروفا كعملية متداخلة هامة أخذت مجراها لدى الكثير من الناس فيما بين الرسائل الإعلامية و الإستجابات لهذه الرسائل [2] و منه نستخلص أن نظرية التأثير على مرحلتين و ما دار من دراسات تغيرات أساسية حيث أفرزت تصور جديد لعلاقة الفرد بوسائل الإعلام إلا أنها إنساقت بقدر كبير وراء تأثير العلاقات الإجتماعية للفرد مقابل تقليص دور وسائل الإعلام و العوامل الخارجية الأخرى التي قد يلاحظ وجودها عند التأثير فيرى محمد الحميد " أيا كان النقد الموجه إلى بناء الفرض النظري لها ، فإنها بداية قد أثبتت أن الفرد في جمهور وسائل الإعلام ليس فردا منعزلا و لكنه ينتمي بشكل أو بأخر إلى شبكة من العلاقات الإجتماعية التي تؤثر في سلوكه الإتصالي مع وسائل الإعلام و قراره الذي يعكس تأثيره بمحتوى الإعلام من عدمه و بالتالي أثبتت عدم فاعلية الفرض الخاص بالتأثير المباشر لوسائل الإعلام و نظريات الطلقة السحرية أو الحقنة تحت الجلد التي كانت سائدة وقت إذن [3] و قد تغلغلت نتائج هذه الدراسة في العملية السياسية خلال الستينات لدرجة أن إعلانات التلفيزيون عن نتائج الإنتخابات ،

[1] - جيهان أحمد رشتي ، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام** ، مرجع سابق ، ص92

[2] - ميلفين ديفليدا ، ساندرا بول روكيست ، تر كمال عبد الرؤوف ، **نظريات وسائل الإعلام** ، الدار الدولية للنشر و التوزيع ،ط1،القاهرة ،1992

[3] - فضيل دليو ، **التكنولوجيا الجديدة للإعلام و الإتصال** ، دار الثقافة ، "1 ، عمان ، 2010 ، ص106

تحليل إتجاهات التصويت حسب الدخل و الدين و العمر و السلالة و المهنة و عضوية النقابات و غيرها من العوامل (التي تحدد التوجه السياسي) أصبحت تعد أمورا طبيعية شأنها في ذلك شأن نتائج الإنتخابات نفسها و من حسن الحظ أن نتائج بحوث التصويت تكون متاحة بنفس القدر لكل منافس سياسي و بالتالي لا تغير من الطبيعة التنافسية للحملات الإنتخابية على نحو ما كان يحدث من قبل ، و أهم نتيجة توصلت البحوث بعد أبحاث عديدة في مجال الإعلام و الإتصال مفادها " أن الإتصال الشخصي يلعب دورا مهما في تكوين و توجيه الرأي العام بجانب دور وسائل الإعلام و أن قادة الرأي يمثلون عنصرا مهما في عملية الإتصال الشخصي و يلعبون دور الوسيط بين الأفراد ووسائل الإعلام و أطلقوا على عملية سريان المعلومات من وسائل افعلام إلى الجماهير عبر قادة الراي إسم تدفق المعلومات على مرحلتين و قد قدم كاتز 1956 رؤيته لفروض نظرية إنتقال الإتصال على مرحلتين :

– أن قادة الرأي الذين يتاثرون بهم ينتمون إلى الجماعة نفسها سواء كانت الأسرة أو الأصديقاء أو زملاء العمل .

– يعد قادة الراي الأكثر تعرضا و إتصالا بوسائل الإعلام ضمن تخصصهم .

– تلعب العلاقات الشخصية دورا هاما كعملية إتصالية و هي تضغط على الأفراد ليتوافقوا مع سلوك و تفكير الجماعة .

– إن قادة الرأي و الأتباع يمكن أن يتبادلوا الأدوار في ظروف مختلفة [1]

[1] - كمال الحاج ، **نظريات الإعلام و الإتصال** ، الجامعة الإفتراضية السورية ، سوريا ، 2020 ، ص105

المبحث الثالث : دراسة الجندي الأمريكي " صمويل ستوفر و أخرون "

تمهيد :

إن بعدالهجوم الياباني على القاعدة العسكرية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية ببيرل هاربور بفترة زمنية قصيرة ، سوف يتم تعيين عالم الإجتماع صموئيل ستوفر مديرا مدنيا لفرع البحوث المنشأ حديثا و ترأس هذه الإدراة الجنرال فريديريك أوسبورن و هو رجل أعمال سابق و عالم إجتماع أيضا و قد قام بتأسيس فرع للبحوث الإجتماعية و النفسية للقيام بمهام هندسية إجتماعية و ليست مهاما علمية و كانت وظيفته هي إجراء مسوح الإتجاهات بين الجنود عندما تشعر الإدارات بمشكلات تحتاج إلى معلومات شاملة ذات طبيعة مسحية ، فقد طلبت تلك الإدارات مثالا عن ذلك إلى تحليل العوامل التي جعلت الجنود في مسرح العمليات بجنوب المحيط الهادي ينفرون من إستخدام عقار الأسبيرين للوقاية من الملاريا و الكشف عن أي نوع من الأكواخ الذي يفضله الجنود في الألسكا و دراسة حالة مغاسل الملابس و إتجاهات الجنود نحو الصينين في مسرح العمليات بالهند . "

المطلب الأول : مدخل عام لدراسة الجندي الأمريكي

بإنتهاء الحرب العالمية الثانية قام فرع البحوث بقابلة ما يزيد عن 500 ألف شخص بالإستعانة بأكثر من 200 إستبيان مختلف ، و قام بإعداد عدة مئات من التقارير عن نتائجه لأغراض عسكرية متعددة و مع ذلك لم تستغل مطلقا القيمة العملية لهذه البيانات الغزيرة ، و قد عهد بهذه المهمة إلى لجنة خاصة بمجلس بحوث العلوم الإجتماعية برئاسة الجنرال أوسبورن و نفذت تحت إشراف البرفيسور ستوفر بمنحة من مؤسسة كارنيجي في السنوات الخمس التي عقبت الحرب و هكذا تحول فرع البحوث في ظل نفس القيادة إلى فريق بحث علمي برعاية مدنية و قد نشرت النتائج في أربعة مجلدات تحت عنوان :

دراسات في علم النفس الإجتماعي في الحرب العالمية الثانية و التي إشتهرت بإسم **الجنديالأمريكي** من عنوان المجلدين الأولين و كان هذا المشروع –على غرار ميردال– تعاونيا على أوسع نطاق إذ وصلت قائمة الأشخاص العلميين و الإداريين إلى 134 إسما و

تبرز صفحات العناوين في المجلدات الأربعة أسماء خمسة عشر مؤلفا رئيسيا و لم يضارع أي بحث إجتماعي بعد ذلك هذا البحث في مجاله [1] و تتميز موضوعات المجلدات الأربعة بالغزارة و الإرتباط الوثيق لدرجة أن التفسيرات اللاحقة سارت على طريقة الرجل الهندوسي الأعمى الذي وصف أحد الأفيال بأنه يشبه الحائط أو الجبل أو الشجرة أو المروحة أو الثعبان حسب الجزء الذي يلمسه من جسم الفيل و لذلك يذهب إدوارد شيلز في مقالته الشهيرة إلى أن الروح المعنوية للجندي المقاتل تعتمد بصفة أساسية على روابط جماعته الأولية في الجيش و أن هذه الروابط تقلل من إعتماد الروح المعنوية للجندي المقاتل على الصلاة التي تعد أكثر أهمية من رفقة السلاح ، و قد أكد عدد من المفكرين على نحو مماثل على تأثير الحرمان النسبي فقد لوحظ على سبيل المثال أن الزنوج في المعسكرات الشمالية كانوا أسوأ تكيفا بصفة عامة من الزنوج في المعسكرات الجنوبية ، كما أكد المحللين على تأثير الدور و المكانة في تعديل الإتجاهات (بمعنى الإختلافات في الدور و المكانة لا تؤدي فحسب إلى الإختلافات في الإتجاه ، و إنما تؤدي أيضا إلى الخطأ في حكم جماعة على جماعة أخرى) أدى إغفال نتيجة هامة هي الجيش وقت الحرب يعمه الإستياء من سوء إستخدام إمتيازات الرتبة و هذا الشعور له أثار عكسية شديدة على الروح المعنوية بإستثناء القوات الجوية التي تسودها ظروف مختلفة ، لقد كشفت بيانات الجندي الأمريكي عن حالة ملحوظة لملايين الرجال المشغولين بنضال شديد من أجل مثل إجتماعية مطلقة في الوقت الذي لا يوجد فيه إلتزام حقيقي بهذه القضية بين أعداد ضخمة منهم و لا توجد لديهم ثقة في قادتهم و لا يوجد لديهم شيء سوى إحتقار المعايير التي تنظم حياتهم و هناك ثلاثة من كل خمسة مقاتلين خدموا في معارك ما وراء البحار كانت لديهم شكوك حول مشروعية الحرب عام 1945 ، و كان الجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية يتكون في معظمه من رجال جندوا بهدف كسب حرب ظلت أهدافها الإيديولوجية غامضة عليهم بعض الشيء كما لو كان الجنود الذين يشاهدون تلك الأفلام لم يسمعوا مطلقا عن هذه الأحداث أو ليست لديهم أراء بشأنها وقت حدوثها و هذا يفسر مغزى قبول مغزى هذه الأفلام بين

[1] - محمد محمود **الجوهري أسس البحث الإجتماعي** ، مرجع سابق ذكره ، ص337

المشاهدين العسكريين و تأثيرها المحدود على إتجاهاتهم نحو الحرب ، و يختص المجلد الأول من التقرير بالتكيف الشخصي للجنود خاصة جموع الجنود المدنيين الذين خدموا في الجيش بصفة مؤقتة أثناء الحرب العالمية الثانية و يهتم المجلد الثاني بالمشكلات المتعلقة بالحرب و ما بعدها و يبحث المجلد الثالث رد فعل جمهور المشاهدين العسكريين للافلام التوجيهية و غيرها من المواد الدعائية و يبعد هذا المجلد عن موضوع هذا الكتاب إلى حد ما و يتضمن المجلد الرابع معالجة دقيقة لنظرية قياس الإتجاهات و تطبيقها و مناقشة لثلاثة مناهج دقيقة لتحليل بيانات المسح و هي تحليل المقاييس و تحليل البناء الكامن و إستخدام إستجابات المسح لأغراض تنبؤية .

لقد أنشأ فرع البحوث – كما أشار ستوفر– إلى ذلك مرارا و تكرارا – بغرض الهندسة الإجتماعية بإعتبارها سلاحا في يد الإدارة العسكرية و كان الإلتزام الصادق من جانب الباحثين بالجهود الحربية هو الذي ساعد السلطات العسكرية كيفية التأثير في أراء و عواطف ضباط الصف و الجنود و عند إكتشاف خلل في نسق الإدارة العسكرية تتم معالجته على أنه مشكلات معنوية ، و قد عولجت شكوى جنود المشاة بأنهم لا يعاملون نفس المعاملة الجنود في الأفرع الأخرى من خلال منحهم شارة الشرف و إقترح الباحثون إجراءات جديدة للأخذ بها في فترة السلام بعد الكشف عن سوء إستخدام الأنساق العسكرية للسلطة من خلال القنوات السرية للمفتش العام و قد وجهت إنتقادات لم يحاولوا الإستفادة من البيانات الغزيرة التي وردت في كتاب **الجندي الأمريكي** لتطوير برنامج منظم لإصلاح المؤسسات العسكرية .

المبحث الرابع : دراسة الملجأ" إرفينغ غوفمان "

تمهيد :

إن التفاعلية الرمزية تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية ، من طرف جماعة من المفكرين المركيين من بينهم جون ديوي ، وليام توماس ، جورج هربرت ميد ، فقد إهتم التفاعليون الرمزيون بتفسير الأفعال الإجتماعية من خلال المعاني التي يضيفها الأفراد عليها حيث يركزون على الجزئيات الصغرى و لا يركزون على المستوى الكبير للتغير الإجتماعي

و تعد التفاعلية الرمزية إنتاجا أمريكيا هي قد نشأت و تطورت في أحضان جامعة شيغاكو حيث تعتبر التفاعلية الرمزية التفاعل الإجتماعي هو وحدة التحليل الأساسية لعلم الإجتماع و تركز على الذات كموضوع للدراسة ، لذا يبقى الباحث موجها نحو دراسة الجوانب الداخلية للسلوك الإنساني و التي تظهر من خلال التفاعل و الإتصال الرمزي بين الأفراد فهي تعتبر أن المجتمع يمثل نشاطا متواصلا لتفاعلات إجتماعية متباينة فهي تركز على العلاقات بين الأشخاص عوض التركيز على المجتمع ككل و يعطي هذا الإتجاه أهمية كبيرة للغة و السلوك والتواصل داخل المجتمع لتأتي دراسة إرفينغ غوفمان ضمن هذه الدراسات المؤسسة في علم الإجتماع فكان صاحب إنجاز أصيل ذي تأثير هام فهو يرى بأن التفاعلات وجها لوجه تشكل شبكة الإجتماعي ، غير أن عملية التفاعل بين شخصين هشة و لهاا السبب يتم ضبطها عن طريق " طقوس التفاعل " (قواعد اللياقة ، أو تناول الطعام ...) التي تسمح للافراد " بتقديم صورة حسنة " و في الواقع يدعم غوفمان أن الحياة الإجتماعية هي نوع من المسرح يلعب الأفراد دورا على خشبته و عليهم أن يتظاهروا بأنهم يحملون محمل الجد دور الأخرين تحت طائلة المخاطرة بأن يفقدوا ماء وجههم و عندما يخرج الفرد من العرض (مكتبة أو سهرة إجتماعية) كي يعود إلى " الكواليس " (بيته أو بيت أصديقائه) يستطيع حينها تخفيف السيطرة على سلوكه (التفوه بحماقات أو التعبير عما يعتقده بخصوص زوملائه) .

1 – لمحة عن حياة إرفينغ غوفمان

ولد إرفينغ غوفمان سنة 1922–1982 ، في كندا في عائلة يهودية من أصل روسي و تابع دراسته السوسيولوجية في جامعة شيغاكو حيث نال شهادة الدكتوراه سنة 1953 و دافع عن أطروحته الموسومة "communication conduct in an island community" حول طريقة التواصل في قلب جالية تعيش في الجزر و هي ملاحظة بالمشاركة observation participante على مدى عام في جزر شيتلاند حول أشكال الحياة الإجتماعية بين السكان و بعدها مارس التعليم لفترة قليلة في فيلاديفيا و تعمق تحديدا في أعمال جورج هربرت ميد رائد التفاعلية الرمزية و ماكس فيبر و راد كليف براون و زيمل ، فقد إعتمد في أبحاثه تقنية

الملاحظة بالمشاركة و هي أداة ينغمس عن طريقها الباحث في ثقافة ما بغية فهم تجربتها المعاشة و قواعدها الداخلية كانت وراء كتابه المصحات النفسية ، احد الكتب الأوسع شهرة له ، فقد عاش في مستشفى سانت إليزابت في واشنطن ، و إختلط بالمرضى و أمضى حياة شخص معزول من خلال سعيه لفهم تماسك التصرفات بدءا من الضغوطات التنظيمية ، فقد أظهر أن التصرفات يمكن أن تخضع لعدة قراءات خارجية طبية و نفسية تفسر تصرف المرضى كأعراض لعدم التكيف مع المجتمع و مع الحياة الطبيعية و قراءة " داخلية " تظهر أن هذه التصرفات ذاتها تنجم عن تكيف عقلاني تماما مع سياق الإستشفاء و ضغوطاته و جاءت أربعة من مؤلفاته ضمن أفضل مائة كتاب في علم الإجتماع حسب الإتحاد الدولي لعلم الإجتماع هذه الكتب هي كتاب " تقديم الذات في الحياة اليومية the presentation of self in everyday life نشره سنة 1959جاء في المرتبة 10 و جاء كتاب " المصحات asylums ألفه سنة 1961 و جاء في المرتبة 33 ثم كتاب الوصمة Stigma ألفه سنة 1963 جاء في المرتبة 44 و أخيرا كتاب تحليل الإطارframe analysis ألفه سنة 1974 و جاء في المرتبة 91.

المطلب الأول : إسهامات إرفينغ غوفمان

يعد إرفينغ غوفمان أحد أشهر أنصار علم الإجتماع الجزئي أو الصغير و هو المصطلح الذي إستخدمه لوصف التفاعل الإجتماعي وتأثيره في الذات و ينظر عليه أنه شخصية رئيسية لتقاليد التفاعلية الرمزية بالرغم من أنه يفضل أن يفكر في نفسه على أنه مجرد مراقب للحياة اليومية متخصص في القيم الإنسانية " و يعتقد غوفمان أن الفاعل في المجتمع يعاين و ينقل و يجذب بإستمرار و يصف وضعية وجود الفرد وسط أفراد أخرين في المجتمع بالقول : عندما يوضع الفرد في حضور أشخاص أخرين ، فإن هؤلاء الأفراد يبحثون عن الحصول على معلومات تخصه أو يقومون بتبلغيه بالمعلومات التي تكون بحوزتهم ، و لقد جعل غوفمان من القواعد المشكلة لطقوس التفاعل على إعتبار أن حوادث السلوك افنساني تنتمي إليها و إلى لحمة المحيط افجتماعي بحثا ذاتيا "[1] يقوم غوفمان طوال دراساته العديدة

[1] - أرمان ، ميشال ماتيلار تر نصر الدين لعياضي ، رابح الصادق ، **تاريخ نظريات الإتصال** ، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،2005 ص98

بتوظيف تصور الحياة الإجتماعية على أنها مسرح معتمدا على أسلوب تقنية سيرتكتجاه الدراما الإجتماعية لما يسميه وجهة نظر درامية (مسرحية) و هو الأمر الذي يسمح له بتحليل الطرق التي يعرض فيها الأفراد شخصيات مختلفة و يؤديهما داخل مجموعة من الممثلين في الحياة اليومية ، عرض إرفينغ غوفمان النموذج أو الدخل المسرحي في كتابه (تقديم الذات في الحياة اليومية) و قد إهتم "غوفمان" في هذا الكتاب بالأسلوب الذي يقدم به الشخص نفسه للأخرين و نشاطه في مواقف العمل العادية و الأساليب التي عن طريقها يضبط الفرد الإنطباعات التي يشكلها الأخرون عنه و نوع الأشياء التي يرغب أولا يرغب في عملها أثناء إنجازه عمله و قد إستخدم لغة المسرح و تصوراته في تحليله السوسيولوجي للأفراد الذين يقيمون بتقديم أنفسهم لغيرهم من الأشخاص ، و يرى أن الأفراد بمثابة الممثلين على المسرح و يهدفون أثناء تفاعلهم مع الأخرين إلى تقديم الصورة الفضل عن الذات و في النموذج أو المدخل المسرحي يتم تحليل السلوك بنفس الطريقة التي يقوم بها الفرد بتحليل عرض المسرحية على الجمهور ، و قد كان إهتمامه بالتركيز على كيفية عرض الناس لأنفسهم بطريقة جيدة أثناء تفاعلهم مع الأخرين في مواقف مختلفة و يرى أن الناس يقومون بالأدوار المختلفة و يحاولون أداء هذه الأدوار بطريقة جيدة مستخدمين ما يستعان به في الإخراج المسرحي مثل (اللغة و السلوك و تصميم الملابس)[1]

و يؤكد أن الحياة الإجتماعية تتم من خلال أعمال طقوس و عادات روتينية و يومية تشبه الأداء المسرحي إذ ان عندما يتقابل الناس في المواقف الإجتماعية فإنهم يتعاونون مثل فرق الممثلين و في الوقت نفسه يكون الأفراد مهتمين بتقديم شخصيات معينة أمام الجمهور الذي يواجهونه إن إهتمام غوفمان بالإتصال وجها لوجه يلخصه ما قاله في محاضراته الأخيرة " نظام التفاعل إذ صرح قائلا : لقد كان شغفي منذ سنوات هو تعزيز هذا المجال (وجها لوجه) كمجال قابل للتحليل مجال يمكن تسميته " نظام التفاعل " المجال الذي يفضل منهج التحليل المصغر ، إن نظام التفاعل ما هو إلا دراسة مجال الإتصال وجها لوجه هذا الكلام يتأكد في مقام أخر حين عرف دراسة النظام الإجتماعي لهذا يضيف غوفمان في دراسة

[1] - طلعت إبراهيم و أخرون ، **النظرية المعاصرة في علم الإجتماع** ، دار غريب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، بدون سنة ، "ط1،،ص127

أخرى من دراساته عندما يجتمع أفراد في وضعيات ما تفرض أن لا يتم تبادل الكلمات و فعل الكلام فإنهم سواء أرادوا أو لم يريدوا يدخلون في شكل من أشكال الإتصال ..فحتى و إن توقف الشخص عن الكلام فإنه لا يمكنه أن يمتنع عن الإتصال بلغة الجسم "[1]

– **إدارة الإنطباع** : إن نجاح عمليات الأداء هذه تعتمد أيضا على تصورات الجمهور و يرى غوفمان أنه من الضروري دراسة نطباعا الناس لتي تظهر بشكل غير مقصود و ليس فقط تلك الإنطباعات التي تظهر بشكل مقصود .

– **المحيط المادي** : إن المحيط الذي يؤدي فيه الفرد و الفريق مهم للغاية و يرى غوفمان أن هذا المحيط ينقسم إلى جزاين رئيسين يرتبطان بمجالات المسرح و هما :

– **منطقة الخشبة الأمامية** : حيث نقدم هويتنا العامة للجمهور حيث نعرض فيها أدوار محددة و تتكون مقدمة الأداء من وضعها (موقعها و مشهدها و ديكورها) الذي يكون غالبا ثابتا في مكان واحد مع الوجهة الشخصية التي يستحضرها في موقف ما (مفردات معدات الهوية مثل الملابس ن و الدعامات و تغيرات الوجه .

– **منطقة الخشبة الخلفية** : هي المكان الذي يرتاح فيه الممثلون بعيد عن الدور و ربما يناقضون فيها هوياتهم العامة ، فهو مكان خاص يقومون فيه بالتدريب من جديد و مراجعة الأداء قبل عودتهم إلى خشبة المسرح و قدم غوفمان مثالا بالحجرات في المنزل حيث تستخدم عرفة الجلوس و الطعام كمناطق خشبية أمامية يدعو فيها الضيوف بينما تظل غرف النوم أو الحمام أكثر خصوصية و هي مناطق الخشبة الخلفية التي يمكن لأفراد الأسرة أن يكونوا أنفسهم ، إن الإنتقال من الخشبة الأمامية إلى الخشبة الخلفية يمكن أن يكون أمرا ضاغطا مسرحيا لأنه يتطلب وضع وجه المرء العام و الإستعداد للعرض للفحص الدقيق و هو الأمر الذي يمكن أن يشكل مشكلة خاصة بالنسبة إلى الأشخاص الخجولين[2] فدراسة النظام الإجتماعي ما هو في أصله سوى دراسته لنظام تفاعلي ينطلق من وحداته الصغرى في إتصال بين شخصين و هي حتمية الإتصال التي تشكل الخلفية لدى غوفمان .

[1] - رضوان بوجمعة ، **الإتصال التقليدي في الجزائر (مقاربة انتروبولوجية)**، مخبر علم إجتماع الإتصال ، جامعة قسنطينة،2010 ،ص65

[2] - جوت سكوت ، **خمسون عالما إجتماعيا ، أساسيا ، المنظرون المعاصرون** ، تر محمود حلمي ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص 276

إن التواصل هو الفكرة الثابتة في اعمال غوفمان فقد حلل التفاعلات و طقوس اللياقة و المحادثات و كل ما يشكل شبكة العلاقات اليومية ، و فيها ينظر إلى التفاعل كمنظومة تتأس عن طريقها الثقافة و تمتلك هذه المنظومة معايير و أليات التنظيم " وجود الإلتزام " و هي القاعدة التي تنص على أن كل شخص داخل في نقاش مع الأخر يجب أن يبدي إلتزاما كافيا في هذا النشاط " النقاش " بصفته بؤرة إنتباه رئيسية يمتلك صفة فريدة لأنه يخلق بالنسبة لمن يشاركون عالما وواقعا يشارك فيها الأخرون أيضا ، و لقد إعتمد غوفمان الملاحظة بالمشاركة و هي طريقة ينغمس عن طريقها الباحث في ثقافة ما بغية فهم تجربتها المعيشية و قواعدها الداخلية كانت وراء كتابه " المصحات النفسية " أحد الكتب الأوسع شهرة لغوفمان ، فقد عاش في مستشفى النفسي كمؤسسة إجتماعية متخصصة في حراسة الناس دون التطرق بشكل خاص إلى خصوصية المرضى العقلي فهو يصف بدقة الحياة اليومية للمعزولين (من خلال سعيه لفهم تماسك التصرفات) بدءا من الضغوطات التنظيمية تبنى من أجل ذلك وجهة نظر المحتجزين و هكذا فقد أظهر أن التصرفات يمكن أن تخضع لعدة قراءات " قراءة خارجية " طبية نفسية تفسر تصرف المرضى كأعراض لعدم التكيف مع المجتمع و مع الحياة الطبيعية و "قراءة خارجية " تظهر أن هذه التصرفات ذاتها تنجم عن تكيف عقلاني تماما مع سياق الإستشفاء و ضغوطاته و في الواقع يتبنى غوفمان تجاه المرضى العقليين النظرة التي ينظر بها الإثنولوجي إلى قبيلة بعيدة من خلال إبتعاده عن الأحكام المألوفة و تمسكه بإستبطان قيمها و منطقها هذه هي النظرة الإثنولوجية .

المطلب الثاني – العالم كمسرح

ينطلق من نظرية مفادها أن الإنسان كإنسان يرى الحقيقة وفقط بواسطة الرموز فالعالم الإجتماعي ليس نظاما ذاتيا و المعاني غير موروثة في السلوك و لكن دلالة سلوك ما تكمن في المعني المنسوبة إليه إن الأفراد المشاركين في بناء تأويلاتهم للوضعيات الإجتماعية الخاصة يحاولون تقديم أفضل نظرة ممكنة عن ذواتهم أو النظرة التي يعتقدون أنها أكثر ملائمة في تحقيق أهدافهم مهما كانت هذه الأخيرة " فالسلوك ألإجتماعي في نظر غوفمان مماثل للأداء الدرامي حيث يحاول الفرد الممثل أن يبلغ صورة معينة عن نفسه للأخرين

و تتجسد نفس الظاهرة في محيط أوسع كالمؤسسة ، فأية مؤسسة إجتماعية يمكن أن تدرس من زاوية إدارة الإنطباعات ففي المؤسسة تقسيم الدوار فهناك ما خلف العرض حيث يحضر الأداء بصفة روتينية و هناك ما على الخشبة حيث يتم تقديم العرض و نجد أن الوصول إلى هاذ المناطق مراقب لمنع الجمهور من رؤية ما وراء العرض [1]لقد حلل التفاعلات الإجتماعية و طقوس اللياقة و المحادثات و كل ما يشكل شبكة العلاقات اليومية ، و فيها نظر إلى التفاعل كمنظومة تتأس عن طريقها الثقافة يرى أن طقوس التفاعل هي مقدار من المناسبات لتأكيد النظام الأخلاقي و الإجتماعي ففي اللقاء يسعى كل فاعل تقديم صورة قيمة عن نفسه هي الوجه (المظهر) أو القيمة الإجتماعية الإيجابية التي يدعيها الشخص عمليا من خلال توجه الفعل الذي يفترض الأخرون أنه تبناه في سياق لقاء خاص و من الأمثلة التي ساقها للتدليل على فكرته : طالبات الكليات الأمريكية في الخمسينات اللواتي كن يتغابين عمدا للتأثر في زملائهن الطلبة و كان سكان جزر ستلند فهي الجزر التي اجرى فيها معظم دراساته الميدانية لأشهر كتبه و كانوا يتركون واجهات بيوتهم تتأكل مخافة أن يعتقد الملاك أن ساكنيها قادرون على دفع إيجار أعلى و ينظر بهذا الشكل إلى جميع أوجه الحياة من أكثر خصوصية إلى أكثر جوانبها ظهورا و علنية فالمرأة التي تحس أنها أخطأت في حق زوجها تقوم عادة بمحاولة إسترضائه ما أمكن بإظهارها ودا زائدا غير مقصود .

إن كتاب " تمثيل الذات في الحياة اليومية " الذي نشر سنة 1959 هو أول عمل لغوفمان و فيه يقارن العالم بعرض مسرحي يلعب فيه الأفراد أدوار " الممثلين " و تلعب العلاقات الإجتماعية دور التمثلات الخاضعة لقواعد دقيقة ، أحد الأسئلة الرئيسية التي تفرض نفسها على الممثل (في الحياة كما في المسرح) هو أن يخلق عند الغير إنطباعا بالواقعية من أجل الإقناع بالصورة التي يرغب بتقديمها عن نفسه ، و في سبيل ذلك عليه أن يكيف حضوره " مظهره الشخصي " مع دوره و أن يحول هذا الدور إلى دراما ، أي أن يدمج في نشاطه علامات ستضفي بريقا على بعض تصرفاته ، و يقسم غوفمان و هو مستمر في الإستعارة المسرحية الحيزات الإجتماعية إلى عدة مناطق " المناطق الداخلية " (العرض)

[1] -عبد الرحمان عزي ، **دراسات في نظريات الإتصال (نحو فكر إعلامي متميز)** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1995 ،ص49

هي التي تدور فيها المشاهد التمثيلية يتواجه فيها الممثلون (الفاعلون) معالجمهور و عليهم أن يتمسكوا فيها بأدوراهم (مثل الأستاذ في القاعة التدريس) ثم المناطق الخلفية أو (الكواليس) المغلقة أما الجمهور ، و فيها يستطيع الممثل أن يسترخي دون مراقبة أو الإستعداد للدور القادم ،و كذلك أدوار أكثر دقة التي يمكن أن نقوم بها و هي الأدوار الصريحة (مثل أدوار الممثلين أو الجمهور) [1]و كذلك أدوار أخرى أكثر دقة يسميها " مزدوجة" مثل الكومبارس الذي ينتمي على فريق الممثلين ، لكنه يتظاهر بأنه جزء من الجمهور (المرأة التي تتجاوب مع زوجها عندما يروي في السهرة قصة طريفة سمعتها عشرات المرات) أو المهمل الموجود خلال التفاعل لكن يعتبر غابا و لا يتوجه نحوه العرض (سائق الطاكسي الذي لا يمنع حضوره الزوجين من المشادة [2] و يستخدم الأفراد عدة أشكال من إدارة الإنطباعات ليدفعوا الأخرين إلى الإستجابة و التجاوب مع ما يقومون به رغم أننا في العادة نقوم بإدارة الإنطباعات على هذا النحو بطريقة محسوبة و مقصودة ،" إلا أننا نسلك هذا السلوك بصورة عفوية و غير واعية في أكثر الأحيان فعندما يشارك أحد الشباب على سبيل المثال في إجتماع يضم شخصيات مهمة في تقديره فإنه يرتدي زيا رسميا و ربما ربطة عنق و يحرص على أن يكون سلوكه على مستوى معين من الإنضباط و اللياقة و التهذيب : غير أنه قد يرتدي ملابس الرياضة العرضية و تتغير أنماط سلوكه عندما يكون برفقة أصدقائه أو أفراد عائلته و هو في الحالتين يقوم بإدارة إنطباعات من يحيطون به [3] و هنا يستخلص أن التفاعلات وجها لوجه تشكل شبكة الإجتماعي غير أن عملية التفاعل بين شخصين هشة و لهذا السبب يتم ضبطها عن طريق طقوس التفاعل (قواعد اللياقة أو تناول الطعام أو الكلام ..) التي تسمح للأفراد بتقديم " صورة حسنة " ويدعم فكرته أن الحياة الإجتماعية هي نوع من المسرح يلعب الأفراد دورا على خشبته و عليهم أن يتظاهروا بأنهم يحملون محمل الجد دور الأخرين ، و عندما يخرج الفرد من العرض (مكتبه أو سهرة إجتماعية) كي يعود إلى الكواليس (بيته أو أصدقائه) يستطيع

[1] -فليب كابان ، **جان فرانسوا دورتيه ، تر إياس حسن ، علم الإجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية** ، مرجع سابق ، ص419

[2] -- فليب كابان ، جان فرانسوا دورتيه ،، مرجع سابق ذكره، ص 426 - [2]

[3] - غدنر أنتون ، تر فايز الصياغ ، **علم الإجتماع** ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2005 ، ص172

حينها تخفيف السيطرة على سلوكه (التفوه بحمقات أو التعبير عما يعتقده بخصوص وزملائه) لقد قام غوفمان بتشبيه الحياة اليومية بعرض مسرحي كما يقول كريب في هذا الصدد " على الإقرار أن عملية التصنع " أو التحكم في الإنطباعات " تقع بإستمرار في حياتنا كما لو كنا جميعا نعمل مندوبي إعلانات لذواتنا و نحن نستخدم محيطنا المادي مجالات للتمثيل تاركين مساحات للخلوة " وراء الكواليس " نلوذ إليها طلبا للراحة من عناء التمثيل "[1] فهو يرى إذا سعى الفرد إلى توجيه سلوك الأخرين بوسائل : المثال ، التنوير ، الإقناع ، التبادل ، الحيلة ، السلطة ، التهديد ، العقاب ، الإجبار ..إلخ فإنه من الضروري و بغض النظر عن موقعه السلطوي ، التبليغ بفعالية ما يريده أن يتحقق ما يستعد القيام به لتحقيق ذلك و ما سيقوم به إذا لم يتحقق فالسلطة من أي نوع لابد أن تلبس بوسائل ذات مفعول لعرضها و ستكون لها تأثيرات مختلفة بناء على الكيفية التي تقدم بها دراما [2] فيرى أن كل شخص في الحياة الإجتماعية له " وجه سلبي " هو الذي يتكتم عليه و يمثل ميدانه الخاص أو روضة الأسرار كما أن لكل شخصى بالتوازي مع ذلك " وجها إيجابيا " هو وجه الصورة التي نقدمها عن أنفسنا إلى الغير و عن علاقتنا بالأخر و لا يتم التواصل إلا إذا إنتظم هذان الوجهان أي يقع تفاوض متجدد بين هاتين المتناقضين .

و من الإنتقادات الموجهة لإرفينغ غوفمان أن التفسيرات التي تعيبها هي إلى ترديد لمسلمات جورج ميد و الحقيقة أن فضل جورج هربرت ميد لا يمكن نكرانه على كل الباحثين المنطوين تحت مظلة التفاعلية الرمزية الذين تأثروا بأفكار نظريته الموسومة بنظرية أخذ الأدوار ، حيث يرى ميد أن جوهر العملية الإجتماعية الإتصالية يتطلب من الفرد أن يتبنى أدوار الأخرين حيث أن مفهوم الفرد لذاته يولد من خلال الإستجابة للذات من وجهة نظر الأخرين و هذا يعني أن هناك علاقة مباشرة بين ما يراه الأخرون فينا كذوات و إتجاهاتهم نحونا و تصوراتنا كما نعيشها في حقيقة الأمر .

[1] -إيان كريب ، **النظرية الإجتماعية (من بارسونز إلى هابرماس)** ،عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، 1999 ،ص122

[2] - عبد الرحمان عزي ، مرجع سابق ذكره ، ص 136

من هنا يمكن النظر إلى جهود غوفمان خاصة فيما تعلق بنظرية إدارة الإنطباعات على أساس أنها إسهام مميزو مهم لكن لا يخرج عن إطار تطوير الذي عرفته نظرية الدور فإسهامات غوفمان تهتم بالأساس بنفس المفاهيم المحورية للتفاعلية الرمزية : الذات ، الدور ، التوقعات ، المعنى و هي المفاهيم التي تشكل الهوية الفكرية و العلمية لمدرسة التفاعلية الرمزية التي تأثر بها رواد مدرسة شيغاكو في الولايات المتحدة الأمريكية التي تهتم بأولوية المعنى على الإجتماعي مع إعتبار أن المعاني الكامنة في التفاعل الإجتماعي الرمزي تمثل حقيقة الحياة الإجتماعية و لابد من الإعتراف أنه قد طور الكثير من الأفكار و أنتج الكثير من المفاهيم التي تنسب إليه ، لقد كان من أخر أعماله " نظام التفاعل " the interactionorder" و الذي نشر في مجلة " American sociological revieur إن اللقب الذي أعطي له لتركيزه على مساره المهني الكلي و هو مجال التفاعل الإجتماعي وحها لوجه حيث يكون شخصين أو أكثر من شخصين ضمن الحضور الفيزيقي لبعضهما مركزا على الناس في المواقع الخاضعة و الجماعات المحرومة من حقوقها فنرى أنه يظهر حقل القوة في النظام الإجتماعي و إدارة الواقع الإجتماعي و لهذا يدفع الباحثين الذين يتبنون المستوى السوسيولوجي قصير المدى للتعامل مع المفهوم الأساس أي علاقات القوى و كان يسعى للإنغماس في هذه الظاهرة التي لم تكن سوى الظاهرة الإتصالية (التفاعلية) وجها لوجه و التي شغلته منذ أطروحة الدكتوراه إلى أخر محاضرة له قبل وفاته في 19 أكتوبر 1982.

المبحث الخامس : دراسة الغرباء لهوارد بيكر

تمهيد :

قام "هوارد بيكر" Howard Beker في كتابه الخارجين عن القواعد الإجتماعية في عام 1963 و في مقالاته عام 1964 و منشوراته في مجلة المشاكل الإجتماعية المنشور الأكثر أهمية لنظرية الوصم الإجتماعي ، لقد إنتقد هوارد بيكر كثير من علماء الإجتماع الذين سبقوه لأنهم لا يتشككوا في صفة إنحرافي التي تطلق على السلوك المنحرف ، فالإنحراف هو الخروج عن العملية المعيارية بمعنى مخالفة المعايير التي سطرها المجتمع للحفاظ على إستقراره و بذلك يوافقون مسبقا على قيم الجماعة التي صنعت هذا الحكم .

المطلب الأول : نظرية الوصم الإجتماعي

كانت هذه النظرية من النظريات القريبة جدا من أفكار غوفمان و هي نظرية الوصم الإجتماعي labeling theory" و التي ظهرت في منتصف الستينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية في لحظة نزاع سياسي ثقافي كبير حيث وضع أبرز منظري النظرية دور الهيئات الحكومية و العمليات الإجتماعية بشكل عام في حقل الإنحراف .

و الجريمة في سياق دراسة الفعل الإجتماعي الرمزي تعد نظرية هوارد بيكر و الذي إعتبرغالبا ما يذكر إسمه كمؤسس لهذه النظرية محط الإهتمام في نظريات الجريمة و الإنحراف " أن مسلك االباحث يتعين دائما أن يذهب أبعد مما توحي له التمظهرات الأتية للحقيقة ، أي أن نهج الباحث هو جهد يظهر القناع الذي يكون خلف الستار الذي نراه و في هذا إتجه بيكر إلى دراسة الإنحراف أو الجنوح deviance أظهر أن الجماعات البشرية تنشىء ما يسمى بالإنحراف بتطبيق مجموعة من القواعد على الأفراد الذين يقعون خارج هذه القواعد ثم نتيجة لذلك تتم تسميتهم بالغرباء outsiders " [1] إنطلاقا من النقد الذي وجهه قام بيكر بتعريف الإنحراف و المنحرفين " فذهب إلى أن الجماعات الإجتماعية تخلف الإنحراف بواسطة صنع القواعد على من ينتهكونها و يصبح بالإمكان تسيمتهم بالخارجين عنها ، و لذلك فالإنحراف لا يعتبر خاصية يقوم بها شخص مذنب فالمنحرف هو الشخص

[1] - عبد الرحمان عزي ، **دراسات في نظريات الإتصال (نحو فكر متميز)** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2003 ، ص34

الذي طبقت عليه هذه التسمية بنجاح و السلوك الإنحرافي هو السلوك الذي أعطاه الناس هذا الإسم "[1] و أن هذه النظرة للإنحرافتقوم على أساس مفهوم الوصم الوصمة لدرجة يعرف فيها هوارد بيكر المنحرف بمن وصمه بهذه الوصمة ، و يرى أن الإنحراف ليس هو الفعل الذي يرتكبه الفرد بل أن الإنحراف هو التبعات التي يطبقها الأخرون من معايير و قواعد على مرتكبي هذا الفعل فالمنحرف هو من طبق عليه مسمى وصم بنجاح كامل بينما السلوك المنحرف هو السلوك الذي يصفه الناس بذلك ، فالعلاقة بين الإنحراف و ردود الفعل بالنسبة لبيك ليست ثابتة فتختلف بإختلاف الزمان و المكان و قيام الفرد بجرم واحد على الأقل كفيلة بوصمه من قبل المجتمع و يرى بأن تشكيل الفرد إنعكاس لتعريف الأخرين له ، و يصف كيف يتبنى الشخص أفكار منحرفة و يقول بان الإنحراف ليست نوعية العمل المرتكب إنما نتيجة أخرى في تطبيق القواعد و العقوبات على المجرم ، كما يجعل بيكر هذا الأساس الذاتي من الإنحراف مسألة نسبية يعتمد فيها على وجهات النظر فقد يعتبر تعاطي الحشيش إنحرافا من قبل من لا يتعاطونه و محاربيه بينما يرى المتعاطون بأن المشكلة في محاولات منعهم و التعدي على حريتهم ، و لذلك يمكن القول أن تعريف فعل معين بوصفه إنحرافا مسألة نسبية تتحدد بالنظر إلى المقاييس التي على أساسها عرف الناس هذا السلوك و لذلك فإن ما يكون إنحرافا من منظور معين قد يمثل جوهر السلوك المتفق عليه من منظور أخر و يرى البعض " أن الوصم بالإنحراف قد يكون من مسببات الإنحراف و إستمراره فإذا وصف شخص بنوع من الإنحراف فإن هذا سيؤثر في تصوره لنفسه بما وصمه به الأخرون فيتصرف كمنحرف سواء كان هذا كوسيلة دفاعية أو هجومية أو كتكيف مع الوضع الإجتماعي مما يؤدي في النهاية إلى تمثله للدور الذي ألصقته الجماعة به و الإستمرارية فيه ، و قد تعلق الوصمة بحياة الإنسان حتى و لو إرتد عنها فيبقى أثرها في حياته و علاقاته و يتصرف بناء على هذه الصورة التي كونها عن ذاته و يصعب عليه العودة إلى سلوكه الطبيعي [2] و من خلال ما سبق فإن الجماعات الإجتماعية تخلق الإنحراف و تحدده بواسطة صنع القواعد التي يمثل إنتهاكها إنحرافا خاصة و قد أشارت نظرية الوصم

[1] - إبراهيم عثمان ، **مقدمة في علم الإجتماع** ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1999 ، ص307

[2] - سميرة أحمد السيد ، **مصطلحات علم الإجتماع** ، مكتبة الشقري ، المملكة العربية السعودية ، 1997 ، ص52

الإجتماعي أن " هذه القواعد لا يمكن أن تحددها طبيعة التنظيم المجردة بل هي قضية سياسية من الدرجة الأولى ما يجعل الإنحراف يخضع لعملية الربط مع السياسة و هذا للمصالح المتصارعة بين الأشخاص و الجماعات الصغيرة نسبيا التي تفتقر إلى القوة من ناحية و بين المصالح الإجتماعية القوية التي تتميز بالتنظيم الشيء من ناحية أخرى ، فينظر للإنحراف " كنتيجة لعملية تفاعل تتم داخل مجتمعات كبيرة من الناس يقوم بعضهم خدمة لمصالحهم الشخصية بصياغة القواعد و القيام بتنفيذها بينما يقوم أخرون من نفس المنطلق بأفعال توصف بأنها إنحرافية [1] و يعتقد هوارد بيكر على وجه الخصوص أن الإنحراف يكون نتيجة للتفاعل الإجتماعي بين الأفراد و ليس دليلا على الهوية المنحرفة فعندما سلك الفرد للمرة الأولى سلوكا يعرفه الأخرون على أنه منحرف يكون قد وصم بأنه منحرف و أن إنحرافه يمثل إنحرافا أولويا primary deviance و التي تعني أن الفرد لازال يعتبر نفسه و سلوكه موائما و متفقا مع سلوك الأخرين في المجتمع و بعدما أن يوصم هذا الفرد بأنه منحرفا من طرف الأخرين فإن إحتمالات إستمرارية الفرد في التصرف تصرفات تعد منحرفة تزداد ن وهنا يدخل الفرد إلى مرحلة الإنحراف الثانوي secondary و قد deviance فقد وصل الفرد إلى مرحلة الإعتقاد بانه منحرف و يصبح مفهوم الإنحراف مرتبط بوصمه لذاته كمنحرف ن إن فهم عملية التنشئة الإجتماعية وفق الأطر الوظيفية لا يعطي من الناحية العلمية تفسيرا واقعيا لنشأة السلوك العنيف ذلك إنها لا تتسع لفهم نشأة الفعل لدى الأفراد على محك أزمة القيم التي يقع فيها المجتمع ليس في مجابهة النزاعات النفسية للعنف ، بقدر ما هي إستجابة لعناصر متعلقة بالفعل الإجتماعي كإستراتيجية يسلكها بعض الشباب الذين يدركون علميا إلا ضمن المسافة التي تفصلهم عن القيم هذا الطرح هو ما يذهب إليه بيكر Beker في أن القيم ليست ما يخلق العنف لأن القيم لا تعمل إلا إذا سجلت كمطلب لجلب الإنتباه الجماهيري و شحن الطاقات الإجتماعية لمواجهة ذلك الفعل ، كما يقول أن الجماعات الإجتماعية تخلق الإنحراف بواسطة صنع القواعد على من ينتهكونها أو يخرقونها يصبح من الممكن إطلاق إسم خارجون outsiders عليها و لذلك فالإنحراف لا يعتبر

[1] - سامية محمد جابر ، علم الإجتماع العام ، دار النهضة العربية ، مصر ، 2003 ، ص69

خاصة لفعل ما يقوم به الشخص و إنما هو نتيجة لتطبيق مجموعة قواعد و إجراءات على الشخص المذنب و المنحف هو الشخص الذي طبقت عليه التسمية بنجاح .

المطلب الثاني : دراسة " هوارد بيكر "

قام هوارد بيكر المولود سنة 1928 بدراسة سوسيولوجية ما بين 1946-1951 في جامعة شيغاكو و في الوقت نفسه كان عازفا للبيانو في فرقة الجاز و كان أساتذته من الممثلين الرئيسين للمدرسة المسماة مدرسة شيغاكو ، هربرت بلومر ، إرنست بورجسين ...أنجز أعماله الأولى عن سوسيولوجيا العمل و المهن و تناولت سلوك عازفي موسيقى الجاز و عمل المدرسات في شيغاكو و سيرهن المهني و إبتداءا من الخمسينات إنتقل إلى ميدان سوسيولوجيا الجنوح و تنطلق هذه النظرية من إفتراض : أن الناس (يعرفون أنفسهم و يتصرفون بطرق تعكس كيفية تصنيف الأخرين لهم) و هي ترتبط أكثر بعلم الجريمة و الإنحراف حيث يتم إستخدامها للإشارة إلى كيف أن العمليات الإجتماعية للوصم و تناول شخص ما على أنه منحرف جنائيا تعزز في الواقع السلوك المنحرف و تحمل تداعيات سلبية على ذلك الشخص لأن الأخرين يكونوا متحيزين ضدهم بسبب هذا الوصم ، و ترى نظرية بيكر حول الوصم أنه لا يوجد فعل إجرامي إذ يتم تحديد تعاريف افجرام من قبل من هم في السلطة من خلال صياغة القوانين و تفسير تلك القوانين من قبل الشرطة و المحاكم و المؤسسات الإصلاحية ، و عليه فإن الإنحراف ليس مجموعة من خصائص الأفراد أو الجماعات بل يعتبر عملية تفاعل بين الإنحرافات و اللاإنحرافات و السياق الذي يتم فيه تأويل الإجرام و يصبح الفرد المنحرف موصوما (من الوصم) بأنه مجرم أو منحرف و من المحتمل أن يقبل الفرد التسمية التي تم وصمه بها فينظر على نفسه كمنحرف ومحددا فيه المقاربة عبر دراسته لمدخني المارخوانا (و كانوا كثرة حينئذ بين موسيقي الجاز) و مع كتاب " الغرباء " الذي ظهر عام 1963 فرض نفسه كواحد من الممثلين الرئيسين للنزعة التفاعلية الرمزية و خلال السبعينات توجه مجددا نحو سوسيولوجيا المهن من خلال دراسته " عوالم الفن " مع إهتمام أكبر بالتصوير الضوئي بصفته فنانا و كذلك حاملا للسوسيولوجيا و منه فقد سعت الدراسات السوسيولوجية للبحث عن التأثيرات المحتملة للوصم في الأفراد و

طرق تدبير الأسر لردات الفعل السلبية و قاربت التمثلات الإجتماعية للإختلاف السلبي (الإنحراف عن القواعد و المعايير و إقترانها بردات الفعل الإجتماعية السلبية (الوصم)" إن الجماعات كما يقول هوارد بيكر تخلق الإنحراف من خلال وضع القواعد التي تعد خرقا إنحرافا و تطبيقها على أشخاص معينين ووصمهم بالخارجين على القانون وفق هذا المنظور ليس الإنحراف خصية لصيقة بفعل يصدر من الشخص بل نتيجة لتطبيق الأخرين قواعد و عقوبات على الشخص المذنب "[1] و بعبارة أخرى يعد الوصم شكلا من الإنحراف عن نماذج معيارية خاصة ، و مادامت هذه المعايير موضوعة من جماعات تحتل مرتبة أعلى و تمتلك سلطة وضع النماذج السلوكية فإنها تصنف الأفراد المنحرفين (أو الجماعات) غرباء outsidersو تعاملهم معاملة منتهكي معايير يحملون أعراضا لأعطاب في الحياة الإجتماعية و بذلك يصير الوصم مركز هوية فرد ينظر إليه على أنه حامل لصفات تقييم سلبيا في مجتمع يثمن الصحة و الجمال و الإستقلالية و كانت هذه النظرية من النظريات القريبة جدا من أفكار غوفمان و هي نظرية الوصم الإجتماعي labeling theory" و التي ظهرت في منتصف الستينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمركية .

المطلب الثالث : الغرباء دراسة في سوسيولوجيا الإنحراف

يستخدم تعريف الإنحراف في العلوم الإجتماعية الأمريكية لتسمية السلوكات التي تنحرف عن المعيار و المنحف بالطريقة التقليدية هو شخص ينتهك معيارا قانونيا أو أخلاقيا و في العادة تستمد سوسيولوجيا الإنحراف المعلومات من إحصاءات الشرطة و السجون من مكاتب المساعدة الإجتماعية ، بالنسبة لبيكر لا يتفق مع هذه المقارنة ، فالإنحراف ينجم دوما عن تفاعل : سلوك متأثر إجتماعيا يحصل جزئيا عما يفعله الأخرون به لا يمكننا الإقتصار بالتجريم على خصوصية نفسية المنحرفين " يأخذ بيكر مثال مدخني الماريخوانا الذين أجرى تحقيقه بينهم فقد أظهر كيف أن إستخدام القنب Cannabis لا يصبح مرغوبا إلا بعد فترة من التدريب و بالتالي لا يجب القول على قرار ما كان يدعمه الأطباء النفسيون تلك الفترة ، بأن عملية تجريب هذا المستحضر هي إستجابة لإستعداد خاص كل الناس يمتلكون قابلية للقيام

[1] - Howards Beker , **Outsiders Studies in the Sociology of deviance** , New york , free press , 1973 ,P8

بذلك عدا عن ذلك فهم لا يملكون بديلا أخر سوى أن يخفوا أنفسهم حتى عن أقربائهم و يصبحون مدفعون لأن لا يزوروا دوما سوى الناس الذين يشاركونهم هذه العادات و هم يصنعون لأنفسهم ثقافة منحرفة تستبعد الكحول مثلا و تعزز ممارستهم ، إن ثقافة الإنحراف بالشكل النموذجي لا تظهر هنا إلا لأن معيارا للمنع ثم فرضه و هذا هو البرهان على أن تحليل الإنحراف يجب أن يهتم بالظروف التي تأسس فيها المعايير [1] إن المقاربة التفاعلية التي طورها بيك نتيجة أخرى إنها تدعو إلى إعتبار الإنحراف عملية قيد التشكل دوما ، يمكن للأفراد أن ينخرطوا (أو لا ينخرطوا) و بقدر ما ينخرطون فيها بقدر ما يزداد تورطهم و يصبح من الصعب عليهم أن يتخلوا عنها و يقترح بيكر و هو المهتم بسوسيولوجيا العمل أن يسمي ذلك سيرة مهنية كل نمط من الإنحراف يشكل " سيرة مهنية " خاصة لكن مخطط الإنخراط متشابه : فعل أولي قد يبقى سرا بل و قد يكون غير مقصود ثم بعدها إكتساب " هوية " منحرفة و أخيرا الإنتماء إلى زمرة منحرفة ، كما أكد بيكر الدور االأساسي للمجتمع في تحيد السير المهنية المنحرفة المثال الرسمي هو مدمن المخدرات و لكي يحصل على المستحضر الممنوع (و بالتالي غالي الثمن) يحصل له أن يقترف جرائم أخرى لكن التفاعل قد يكون أقل وضوحا من ذلك فموسيقي الجاز الذين تردد عليهم بيكر كثيرا في شيغاكو بدءا من عام 1948 سمحوا له بتقديم نموذج لا يحتل الجنوح فيه سوى قسم ضئيل الموسيقيون الذي وصفهم بيكر هم فقط " هامشيون " يعيشون بهذه الصفة و هم يعتبرون أنفسهم فنانين و يحلمون بعزف جاز خلاق مبدع غير أن البلهاء caves (أي الجمهور بلغة الموسيقيين الخاصة) لا يطلبون منهم سوى شيء واحد أن يجعلونهم يرقصون في أجواء تجارية ، و حسب بيكر فإن دراسة السلوك الذي يعتبر منحرف لا يجب الإنطلاق من الإحصائيات و المعطيات الرسمية ، بل يجب أن نأخذ بالحسبان أولئك الذين يفرضون المعايير أو يصغون الإتهامات و ذلك تبيان كيف توصل هذا الفرد أو هذا الفريق من الأفراد أن ينتهك هذا المعيار أو أن يوصف كمنحرف و في المنظور الذي يتبناه بيكر ليس الإنحراف صفة خاصة بفئات معينة من الأشخاص ، إن صفة الإنحراف أو عدم الإنحراف

[1]- فليب كابان ، جان فرانسوا جوريه ، تر إياس حسن ،**علم الإجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية** ، دار الفرقد ، سوريا ،2010 ص131

لفعل ما تعتمد على الطريقة التي يرتكس بها الأخرون فرجال الشرطة لا يوقفون كافة الأشخاص الذين يرتكبون جرائم و هم لا يحررون محضرا بكافة السائقين الذين يتخطون حدود السرعة إنما ببضعة أشخاص ، إن الإنحراف يترجم إبتعادا عن المعايير التي أقرتها زمرة إجتماعية لكن لكي تعتبر منحرفا يجب أن تكون عرضة للإتهام ، إن من إطلع على الأفكار الواردة في كتاب " الوصمة " لإرفينغ غوفمان سيلاحظ أكيدا مدى التطابق بين أفكار هوارد بيكر عن الإنحراف " إن تحدث غوفمان في كتابه هذا عن المعاملات الإجتماعية و النظرة القيمية النقدية للأفراد إتجاه المعوقين بالإضافة إلى فئات أخرى و ذلك بإستخدام صفات تشنيعية تترك لدى الموسومين بصمات و علامات سيئة تسيء إلى سمعته و تشوه صورته و ذاته لدى الأخر ، مما يضطر الأطراف المتفاعلة معه غلأى التقليل من درجة الإحتكاك به إن لم نقل الإبتعاد عنه نهائيا " [1] و رغم أن كلا الكتابين ظهر أول مرة سنة 1963 إلا أنه يرجح و بدرجة كبيرة أن يكون بيكر هو من تأثر بأفكار غوفمان السابقة من خلال كتاباته السابقة " تقديم الذات في الحياة اليومية " حيث قدم الشكر لغوفملن على مساعدته في تقديم كتابه الموسوم " الغرباء " .

[1] - كربوش مراد ، **الإتصال الداخلي في الإدارة العمومية الجزائرية وفق منظور درامي** ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2005 ،ص145

خاتمة

إن إرث مدرسة شيغاكو سيظل حاضرا في السوسيولوجيا عامة و في سوسيولوجيا التحضر و الهجرة خاصة و ذلك سواء على مستوى منهجية البحث أو المفاهيم المستعملة أو النظريات المستخدمة ، و لكن هذه السوسيولوجيا ستتجه لتجعل من ظاهرة التحضر موضوعها المفضل ذلك أن هذه الظاهرة في بعديها ألمجالي و الثقافي تتجه تاريخيا لتصبح ظاهرة كونية فكل المجتمعات الإنسانية سواء منها المتقدمة أو السائرة في طريق النمو تعرف نموا حضريا سريعا بل ن ظاهرة القروية قد إندثرت في العديد من الدول فالمدرسة السوسيولوجية شيغاكو تعتبر من أهم المداس التي عرفها علم الإجتماع الحديث و التي لا تزال صدى أعمال روادها يتردد في أذهان مختلف علماء الإجتماع كما أن تقنيات و مناهج البحث الميداني التي جاءوا بها ما تزال إلى اليوم من أهم وسائل المعرفة السوسيولوجية ، و لذلك فإن هذه المدرسة التي ظهرت في بداية القرن العشرين ما زالت دائمة الحضور في علم الإجتماع فبعد مدرسة شيغاكو الأولى (توماس ، روبرت بارك ، بلومر) ستظهر إبتداء من منتصف الخمسينات مدرسة شيغاكو الثانية (هوارد بيكر ، غوفمان ، ستراوس) أما اليوم فكل التجديد السوسيولوجي ما زال ينطلق من هناك من جامعة شيغاكو و من قسم علم الإجتماع بالذات و كل التيارات الرائدة اليوم من الإثنوميتودولوجيا ، التفاعلية الرمزية الجديدة ، سوسيولوجيا الحياة اليومية و المقاربات المنهجية المبدعة لا زالت تمدح لمؤرخي علم الإجتماع على تسميتها مدرسة شيغاكو .

و من بين أهم الإسهامت الكبرى الأخرى لسوسيولوجي مدرسة شيغاكو هو أنهم عمدوا إلى تطوير مناهج بحث أصيلة الإستعمال العلمي للوثائق الشخصية ، و العمل المباشر في الميدان و إستغلال مصادر وثائقية مختلفة موجهة بشكل واضح في إتجاه ما نسميه اليوم سوسيولوجيا الكيفية ، لقد كان الهاجس الأول و الأساسي بالنسبة لعلماء الذين شكلوا النواة الأولى للعلم الإجتماعي في بداية القرن العشرين بجامعة شيغاكو هو الوصول إلى فرض (الإعتراف بالشرعية الأكاديمية لهذا العلم) و إنطلاقامن هذا الهاجس كان هؤلاء العلماء يسعون و يدعون إلى ضرورة وضع إطار مفاهيمي يسمح لهم بإكتساب هذا الإعتراف من

قبل باقي زملائهم في العلوم الخرى و من ثمة كانوا لا يحصرون إهتمامهم في جمع معلومات جزئية في مختبرهم الذي كان هو مدينة شيغاكو و لكنهم كانوا يحاولون وضع أسس نظريتهم السوسيولوجية و من ثم وحدة التوجه الذي كان يحرك هؤلاء العلماء الذين شاءت الظروف أن يجتمعوا و يشتغلوا في نفس الزمان و المكان : جامعة شيغاكو بداية القرن العشرين و لذلك لم يتردد بيكر أحد رواد الجيل الثاني لمدرسة شيغاكو و الذي ظل يجادل في وجود مدرسة شيغاكو بهذا القسم من القول " و مع ذلك و بالرغم من كل شيء هناك بالفعل وجود لمدرسة شيغاكو ، و تقليد لمدرسة شيغاكو و التي تكرس من خلال نوعية أعمال و طرق إستعمال رواد علم الإجتماع بجامعة شيغاكو في بداية القرن العشرين[97] .

إن معظم عناوين العمال الأساسية لمدرسة شيغاكو تدل على الإهتمامات الواقعية العالمية للباحثين هذه الأعمال تعطى إنطباعا بأن علماء مدرسة شيغاكو كانوا يهتمون بجانب واحد فقط للحياة الحضرية و هذا الإنطباع يعد صحيحا إلى حد ما ، فقد إنصب إهتمام " روبرت بارك " و عدد كبير من المتخصصين المنتمين لمدرسة شيغاكو على الإهتمام بدراسة أنساق القيم و الإنطباعات impression و ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المحلي community حيث إعترف هؤلاء بأن خلفياتهم تتعارض مع أنساق القيم و الظروف في المدن التي إختاروها للدراسة .

على الرغم من الإسهامات التي قدمتها مدرسة شيغاكو ليس فقط لفهم المدينة في بدايات القرن العشرين و لكن أيضا في مجال علم الإجتماع العام إلا أن التحليل المعمق للأعمال المبكرة لهذه المدرسة الفكرية يؤكد حقيقة هامة مؤداها أن مؤسسي المدرسة شأنهم في ذلك شأن الأروبيون قد إستجابوا لنوع معين من المدن و هو المدينة الرأسمالية الغربية و التي قطعت أشواط كبيرة في مجال التقدم الصناعي ، الأمر الذي يجعلها تتميز بصفات خاصة سواء على مستوى البحث أو النظرية فقد قدمت تحليل لعناصر المدينة و حياتها الإجتماعية التي لا تتوافر في مواقع أخرى و بخاصة عندما صور هؤلاء العلماء " المدينة " كان يبلغ فيه التخصص و تقسيم العمل درجة معقدة و أن العلاقات تتميز بالطابع الرسمي و النفعي و

[97] - عبد الرحمن المالكي ، مدرسة شيغاكو ، مرجع سابق ، ص64

كذلك السطحية بالإضافة أن تراث علم الإجتماع الأمريكي و الأوروبي و بخاصة الكلاسيكي عبر عن وجهات نظر خاصة لهؤلاء الرواد و لم يهتموا بدراسة المدينة في مواقف إمبريقية و تاريخية محددة .

إن إرث مدرسة شيغاكو سيظل حاضرا في السوسيولوجيا عامة و في سوسيولوجيا التحضر و الهجرة خاصة ، و ذلك سواء على مستوى منهجية البحث أو المفاهيم المستخدمة أو النظريات و لكن هذه السوسيولوجيا نتيجة شيئا فشيئا لتعجل من ظاهرة التحضر موضوعها المفضل ذلك أن هذه الظاهرة في بعديها المجالي و الثقافي تتجه تاريخيا لتصبح " كونية " فكل المجتمعات الإنسانية سواء منها المتقدمة أو تلك السائرة في طرق النمو تعرف نموا حضريا سريعا ، بل إن الظاهرة القروية إندثرت في العديد من الدول و يرى بعض علماء الإجتما أن التسمية النسب لهذا التخصص هي " سوسيولوجيا التحضر " على إعتبارها أن موضوعها هو عملية الإندماج الإجتماعي في المجتمع الكلي الذي يتجه ليصبح حضريا بالكامل .

قائمة المراجع

أولا : المراجع باللغة العربية

1 – أحمد عياش ، **الإنتحار ، نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد** ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2003.

2 - فراس عباس البياني ،**علم الإجتماع ،دراسة تحليلية للنشأة و التطور** ،دار غيداء للنشر ، عمان ، 2011

3 - سعيد ناصف ، **علم الإجتماع الحضري ، المفاهيم و القضايا و المشكلات** ، دار الكتب و الوثائق القومية ، ط1 مصر ،2006 .

4 - وجدي شفيق عبد الطيف ، **علم الإجتماع الحضري و الصناعي** ، دار المصطفى للنشر و التوزيع ، مصر ، 2005 .

5– محمد قاسم القريوتي ، **نظرية المنظمة و التنظيم** ، دار وائل ، الأردن ، 2008 .

6 - محمد الجوهري و ليلى شكري ، **علم الإجتماع الريفي والحضري** ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر 1983

7- معن خليل ، **المشكلات الإجتماعية** ، دار الشروق ، ط1 ،بيروت ، 1987

8 - محمد محمود الجوهري ، **أسس البحث الإجتماعي** ، دار المسيرة للنشر و التوزيع الأردن ، ط 1 ، 2009 .

9 - فليب كابان ، **جان فرانسوا دورتيه ، تر إياس حسن ، علم الإجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية** ، دار الفرقد ،سوريا ، 2010.

10- محمد علي محمد ، **علم إجتماع التنظيم** ، الدار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1975

11- محمد الجوهري ، **علم الإجتماع التطبيقي** ، دار المعارف ، القاهرة ، 2008 .

12 - أسماعيل قيرة ، عبد الحميد ديلمي ، **التصورات الإجتماعية و معاناة الفئات الدنيا** ، مخبر الإنسان و المدينة ، جامعة منتوري قسنطين2003

13 - إسماعيل سعد ، **الإتصال و الرأي العام ، مبحث في القوة و الإيديولوجية** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1975 .

14 - جيهان أحمد رشتي ، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1978 .

15 - منال هلال المزاهرة ، **نظريات الإتصال** ، دار المسيرة ، ط1 ، عمان ، 2012 .

16 - حمدي حسن ، **مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الإتصال** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1978

17- حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، **الإتصال و نظرياته المعاصرة** ، الدار المصرية اللبنانية ، ط6 ، القاهرة ، 2006 .

18 - ميلفين ديفليدا ، ساندرا بول روكيست ، تر كمال عبد الرؤوف ، **نظريات وسائل الإعلام** ، الدار الدولية للنشر و التوزيع ،ط1،القاهرة ،1992

19 - فضيل دليو ، **التكنولوجيا الجديدة للإعلام و الإتصال** ، دار الثقافة ، "1 ، عمان ، 2010 .

20 - طلعت إبراهيم و أخرون ، **النظرية المعاصرة في علم الإجتماع** ، دار غريب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، بدون سنة ، "ط1.

21 - جوت سكوت ، **خمسون عالما إجتماعيا ، أساسيا ، المنظرون المعاصرون** ، تر محمود حلمي ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، ط1 ، 2009 .

22- محمد سعيد عبد المجيد ، وجدي شفيق عبد اللطيف ، **المدخل إلى علم الإجتماع** ، دار الكتب ، القاهرة ، 2005

23 – نبيل السمالوطي ، **البناء النظري لعلم الإجتماع ، مدخل لدراسة المفاهيم و القضايا الأساسية** ، ج1، ط1.، دار الكتب ، القاهرة ، 2007

24 – محمد عاطف غيث ، **دراسات في تاريخ الفكر و إتجاهات النظرية في علم الإجتماع** ، دار النهضة ، بيروت ، 1975 .

25 -ياس خضير البياتي ، **النظرية الإجتماعية جذورها التاريخية و روادها** ، الجامعة المفتوحة ، ط1 ، طرابلس ، 2002

26 – فروند جوليات ، تر تسيير شيخ الأرض ، **علم الإجتماع عند ماكس فيبر** ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ،دمشق، 1976 .

27 - - مصطفى الخشاب ، **علم الإجتماع الحضري** ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1976 .

28- محمد عاطف غيث ، **علم الإجتماع الحضري (مدخل نظري)** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1988 .

29 - أنطونب جيدنز ، تر فايز الصياغ ، **علم الإجتماع** ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية،ط4، بيروت ، 2005 .

30 - إسحاق يعقوب القطب ، **خصائص النمو الحضري في دول الخليج** ، شركة كاظمية للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1985 .

31 - عبد الله بن سعد الرشود ، **الإنتحار ، التشخيص و العلاج** ، مركز الدراسات العربية الأمية ، جامعة نايف ، السعودية ،2006

32- حسن فايد ، **دراسات في السلوك و الشخصية** ، ط1 ، مؤسسة طيبة للنشر ، القاهرة ، 2004 .

33 - معن خليل العمر ، **التفكك الإجتماعي** ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006

34- يوسف ميخائيل أسعد ، **المشكلات النفسية حقيقتها و طرق علاجها** ، دار النهضة للطبع و النشر ، الفجالة ، القاهرة ،1988

35- مكرم سمعان ، **مشكلة الإنتحار ، دراسة نفسية إجتماعية للسلوك الإنتحاري** ، دار المعارف ، القاهرة ،1964 .

36 - إبراهيم عثمان ، **مقدمة في علم الإجتماع** ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1999 .

37- سميرة أحمد السيد ، **مصطلحات علم الإجتماع** ، مكتبة الشقري ، المملكة العربية السعودية ، 1997

38- سامية محمد جابر ، علم الإجتماع العام ، دار النهضة العربية ، مصر ، 2003 .

39 - أسعد يوسف ميخائيل ، **المشكلات النفسية الإجتماعية** ، رؤية تفسيرية ، مؤسسة صلبة لنشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ،1988 .

40- فليب كابان ، جان فرانسوا جوريه ، تر إياس حسن ،**علم الإجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية** ، دار الفرقد ، سوريا ،2010 .

41- عبد الرحمان المالكي ،**مدرسة شيغاكو ، نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة** ، إفريقيا الشرق لنشر ، دار البيضاء، المغرب،2016 .

42- محمد إسماعيل قباري ، **علم الإجتماع و مشكلات التنظيم في المؤسسات البيروقراطية** ، منشأة المعارف ، الأردن ، 1981

43- عبدالله محمد عبد الرحمن ، **علم إجتماع التنظيم** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 .

44- عادل حسن ، **إدارة الأفراد و العلاقات الإنسانية** ، مؤسسة شباب الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 .

45 -إعتماد محمد علام ، **دراسات في علم الإجتماع التطبيقي** ، المكتبة الأنجلومصرية ،ط1 ، 1994

46- رضوان بوجمعة ، **الإتصال التقليدي في الجزائر (مقاربة انتروبولوجية)**، مخبر علم إجتماع الإتصال ، جامعة قسنطينة،2010.

47- أرمان ، ميشال ماتيلار تر نصر الدين لعياضي ، رابح الصادق ، **تاريخ نظريات الإتصال** ، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،2005 .

48- عبد الرحمان عزي ، **الفكر الإجتماعي المعاصر و الظاهرة الإعلامية (عض الأبعاد الحضرية)** ،دار الأمة ، الجزائر ، 1995 .

49 -غدنر أنتون ، تر فايز الصياغ ، **علم الإجتماع** ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2005 .

50- إيان كريب ، **النظرية الإجتماعية (من بارسونز إلى هابرماس)** ،عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، 1999 .

51- عبد الرحمان عزي ، **دراسات في نظريات الإتصال (نحو فكر متميز)** ، مركز دراسات الوحدة العربية ،

52- كربوش مراد ، **الإتصال الداخلي في الإدارة العمومية الجزائرية وفق منظور درامي** ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2005 .

53-عبد الله نادية جبر ، **الفقر و طرق قياسه ، الإتجاهات النظرية و المنهجية (دراسة في علم إجتماعالحياة اليومية)** ، دار فرجة للنشر ، مصر ، 2004 .

54-مقاوسي صليحة ، **الفقر الحضري أسبابه و أنماطه** ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة قسنطينة ، 2008

55- محمد الجوهري و ليلى شكري ، **علم الإجتماع الريفي والحضري** ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر 1983

56- فضة عباسي بصلي محمد الفاتح حمدي ، **مدخل لعلوم الإتصال و الإعلام (الوسائل ، النماذج ، النظريات)** ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن، ، 2017 .

57- التيرمصطفى عمر ، **مسيرة تحديث المجتمع الليبي**، معهد الإنماء العربي للدراسات الإجتماعية ، بيروت ، 1992

58- رشوان حسين عبد الحميد أحمد ، **الفقر و المجتمع دراسة في علم الإجتماع** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2007 .

59- كمالالحاج ، **نظريات الإعلام و الإتصال** ، الجامعة الإفتراضية السورية ، سوريا ، 2020 .

60- ـ سعيد ناصف ،محمود عودة ، **علم الإجتماع (القضايا ، المفاهيم ، المشكلات)** ، ط1 ،،دار الكتب ، القاهرة ،2006 .

61- غريب محمد سيد أحمد ، السيد عبد العاطي السيد ، **علم الإجتماع الريفي و الحضري** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،2004

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية

1 - William Thomas and Florian Zananiecki ,**The Polish Peasant in Europ and America** , New york ,knopf ,1927 ,new york , dover , originally ,Published ,1918-1920

2 - Robert S Lynd and Helen Merrell Lynd , M**iddletown , Astudy in American Culture** ,New york ,Harcourt Brace 1929

3- Judith Lazar ,**Sociologie de la communication , action de mass**, Paris , Armard colin , 1991 ,p15

4- Brian (M) Tousignand (M) , **Comprendre le Suicide** , PU ,M , Paris , 2004

5- Emil Durkuim , 1897, **le Suicide étude sociologique** , press universitaire de France , collection biblitheque, philosophique , edition eloctronique ,

6-Myrdal G , Asian drama **,an inguiry into the poverty of nation** ,allenlane , the pen gun press 1948

7- Myrdal ,Bok , **an American delemmar , the Negro problemand moderndemocracy ,**piscatavray transation publishers ,1994

8- - John Madge , **The origins of Scientific Sociology** , New York free press , 1962 .

9- Howards Beker , **Outsiders Studies in the Sociology of deviance** , New york , free press , 1973 ,P8

10-Lewis Oscar ,(19966-1996) July 1998 **, The Culture of Poverty** ,Society , p35

11-W.Thomas ,F Znaneicki, **fondation de la sociologie américaine ,** préface et coordination de la traduction , suzi guth , Paris 2000 , ed l'harmattan .

12- R.E.Park , la communauté Urbaine, **model spatial et ordre moral in l'école de chicago** , op cit ,paris ,p193